

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:...../.....

رقم التسجيل: ط1: M201535103008

رقم التسجيل: ط2: M201535115251

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري
بعنوان:

البيئة الريفية في رواية "لحن الموت" لعبدلة قدوار

إعداد الطالبتين:

- حفيظة بطة

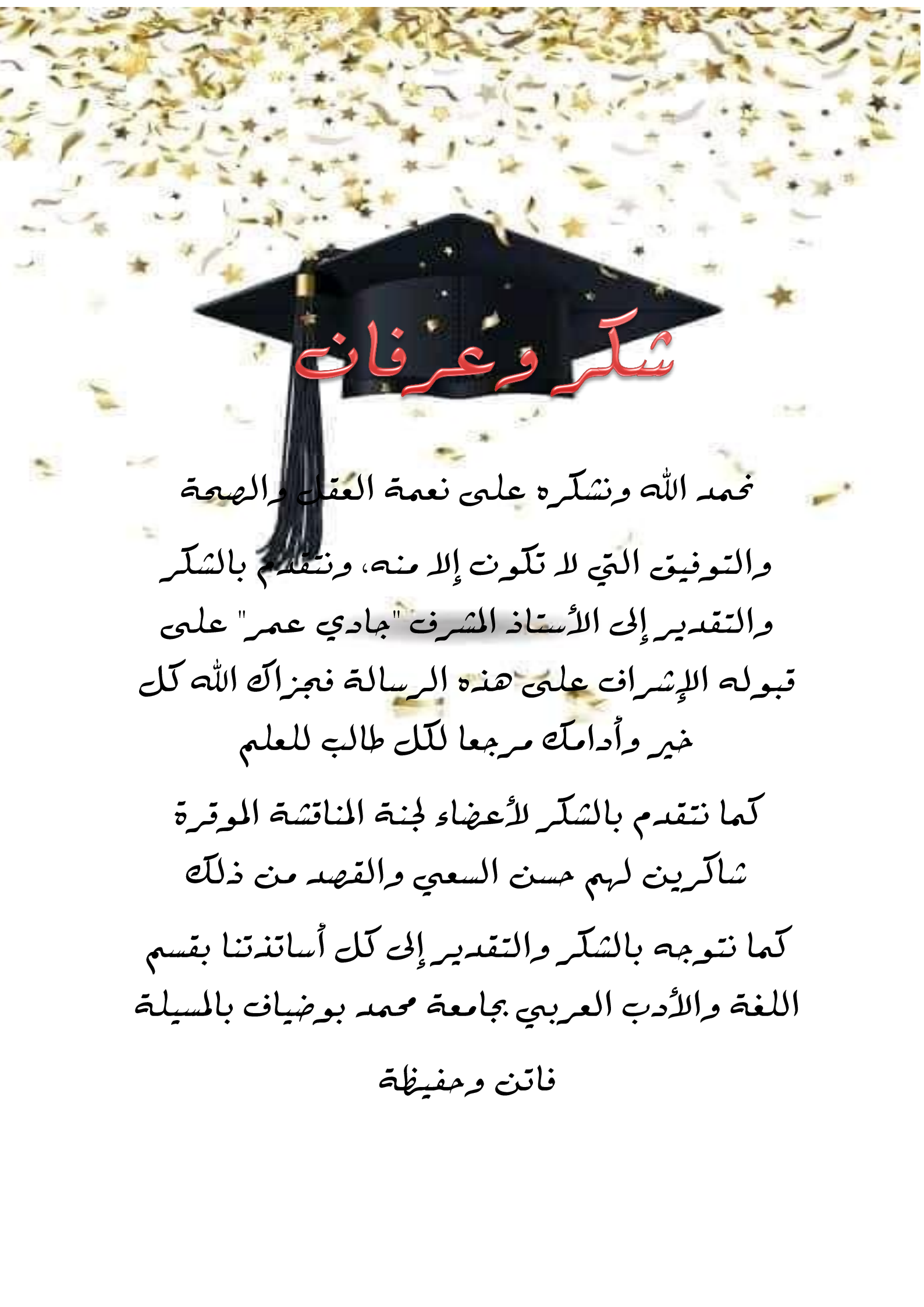
- فاتن لعابة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	رحمون بوزيد
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر ب	عمر جادي
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر ب	بولنوار بوديسة

السنة الجامعية: 1441-1442هـ / 2019-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وعرفان

نحمد الله ونشكره على نعمة العقل والصحة
والتوفيق التي لا تكون إلا منه، ونتقدم بالشكر
والتقدير إلى الأستاذ المشرف "جادي عمر" على
قبوله الإشراف على هذه الرسالة فجزاك الله كل
خير وأدامك مرجعا لكل طالب للعلم

كما نتقدم بالشكر للأعضاء لجنة المناقشة الموقرة
شاكرين لهم حسن السعي والقصد من ذلك
كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى كل أساتذتنا بقسم
اللغة والأدب العربي بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة

فاتن وحفيظة

مقدمة

الأدب رمز كيان الأمة والجهاز الموجه في حياتها والمرآة التي تتعكس عليها صورة هذه الحياة ،والكاتب بهذا صاحب رسالة إنسانية يعي الماضي بحيوية ،ويواجه الحاضر بإيمان ويستشف المستقبل بإحساسه المرهف، وبالحديث عن الأدب لا بد من ذكر الرواية التي تعد الخطاب الأدبي الملائم والأنسب للتعبير عن واقع يتغير بسرعة فقد أصبحت الرواية في الوقت الراهن تمثل ديوان الحياة المعاصرة لأنها خلقت لنفسها مكانا في عالم الأدب المعاصر من جهة ودخلت معترك الحياة لتعالج قضايا الواقع ومشكلات الإنسان بوجه ومنظار آخر من جهة أخرى ،واختلفت مواضيعها باختلاف المكان وتطور الزمان وقد حضر موضوع الريف بكثافة في المنجز الروائي الجزائري باللغتين العربية والفرنسية لكنه في المقابل لم يظفر بدراسة مستقلة متكاملة تعرض لطبيعته، وبناءا على ما سبق ونظرا للأهمية البالغة التي يحض بها موضوع الريف في الرواية الجزائرية جاء البحث موسوما ب (البيئة الريفية في رواية لحن الموت) لعبلة قدوار والرغبة في اختيارنا لهذا الموضوع نابعة عن عدة دوافع وأسباب منها: أسباب ذاتية تمثلت في إعجابنا بالطريقة التي تكتب بها الروائية إضافة إلى شعورنا العميق نحو هذا العالم المنسي المهمش لنلمس مواطن المعاناة ومواقع التهميش أما الدافع الموضوعي فتمثل في أهمية دراسة البيئة الريفية ومن هنا يطرح هذا الموضوع عدة إشكاليات يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- كيف تجلت صورت الريف في رواية لحن الموت؟

- ما هي أهم التقنيات التي استخدمتها الروائية لوصف البيئة الريفية في الرواية؟

- ما هي العناصر المكونة للريف الجزائري؟

وقد اعتمدنا في مسار بحثنا على آليات المنهج الوصفي التحليلي هذا المنهج الذي يركز على النص لتخريج صورة الريف بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية التي تعكس بنية المجتمع الجزائري.

وللإجابة على أسئلة البحث وجب علينا وحسب ما تقتضيه الدراسة إلى وضع مخطط منهجي، فجاء مشتملا على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة وملحق، وأوجزنا في المدخل

الموسوم ب: الريف والرواية عرفنا فيه مصطلح البيئة والريف ثم تعرضنا بعد ذلك إلى دراسة الريف في الرواية الغربية والعربية.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان تمظهرات الريف في الأدب العربي وقد تضمن أربعة عناصر سنتطرق في العنصر الأول إلى الريف في ضوء علم الاجتماع وسنعرض في العنصر الثاني: الريف في الشعر العربي القديم أما العنصر الثالث فجاء تحت عنوان الريف في السرد العربي القديم والعنصر الرابع: الريف في الرواية الجزائرية.

أما الفصل الثاني فعنوانه ب: تجليات البيئة الريفية في رواية لحن الموت وقد تضمن عنصرين تطرقنا في العنصر الأول إلى تجليات الأبعاد الدلالية للريف وهما بعدان: الرومانسي والبعد الاجتماعي، أما الجزء الثاني فهو التشكيل الفني ودرسنا فيه اللغة والزمن والمكان والشخصيات وعرضنا فيه ملامح الشخصيات الريفية وفي معظمها قضايا كانت في حاجة إلى وقفة واستقصاء.

وأنهينا بحثنا بخاتمة كانت جملة لأهم النتائج المتوصل إليها، ثم ملحق عرفنا فيه بالروائية "عبلة قدوار" وقد اعتمدنا في مشوار بحثنا على عدة مراجع، وبما أن المصدر الأساسي المعتمد في هذه الدراسة هو نتاج الروائية فقد تصدر قائمة المصادر نص الدراسة التطبيقية "لحن الموت" وفي المقابل استفدنا من عدة مراجع نذكر منها:

- أبحاث في الرواية العربية ل صالح مفقودة.
- الريف في الرواية العربية، محمد حسن عبد الله.
- دراسات في الرواية الجزائرية، مصطفى فاسي.
- علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية، محمد جميل جامع.
- إضافة إلى مجموعة من الكتب المترجمة منها: المصطلح السردي لجيرالد برنس وغيرها من المراجع التي أنارت لنا السبيل.

ولا يخلو أي بحث علمي من صعوبات تعرقل مجرى سيره لذا فلم تكن رحلتنا معه سهلة فقد اعترضتنا عراقيل كان أبرزها هاجس البحث في الريف وقضاياها المتشعبة وانتقاء من بينها ما يخدم موضوع بحثنا لبلورة إشكاليته، إضافة إلى الأزمة التي يمر بها العالم البلاد وصعوبة التنقل والتنسيق والتواصل مع الأستاذ المشرف ومع بعضنا البعض. والحمد لله حمداً يكافئ نعمه والشكر للأستاذ جادي عمر الذي كان خير داعم.

مدخل

الرواية والأدب

1- نشأة الرواية في الأدب الغربي:

تبلورت الرواية بوصفها جنسا تعبيريا وشكلا فنيا ضمن شروط اجتماعية وثقافية وعالجت مختلف القضايا، حيث ظهرت في المجال الإبداعي واتجهت الكتابة الروائية تجسيدا للظروف التي عرفها المجتمع، ولكون الرواية تعبيراً عن الفرد والجماعة فقد أثّر حولها العديد من التساؤلات حول نشأتها في الغرب واحتكاكها بثقافتها، وهي بذلك تشكل أدبياً نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وتحرر الفرد من التبعيات التي مكنته من التحرر.

لم يتحقق كيان الرواية في الأدب الغربي إلا في مرحلة كان فيها ارتباط الرواية بظهور وسيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي والتي حاولت تسليط الضوء على الواقع. وقد شكل ظهور الرواية في الغرب مروراً بالأدب القصصي وتجلي ذلك بسيطرة الطبقة الحاكمة المعبرة عن الخدم التي جسدت أسس الهوية والكتابة انطوائها على الواقع حاملة رسالة التعبير عن روح العصر، وهناك من يعتبر رواية "دونكيشوف" لسرفانتس أول رواية فنية في أوروبا كونها تعتمد على المغامرة والفردية. "وإذن فالرواية وليدة الطبقة البرجوازية ظهرت سماتها في القرن الثامن عشر وقد جسد هذا التواجد عند "جورج لوكاتش" حيث ميز هذا الأخير بين ثلاثة أنماط للرواية الغربية انطلاقاً من العلاقة بين البطل والعالم وهذه الأنماط هي:

- الرواية الغربية

- الرواية المثالية التجريدية: تتمثل بنشاط البطل وضيق العالم مثل رواية (دونكيشون)

- الرواية النفسية: ويحدث فيها انفصال بين الذات والعالم الخارجي إذ يهتم فيها البطل بنفسه، أما النمط الثالث فقد تمثل بين هذين النمطين أما النمط الرابع فقد أشار إليه "لوكاتش" إلى التطور الذي عرفه الجنس الروائي في الغرب".¹

¹-صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، د ط، الجزائر، ص7.

اشتمل التأليف الروائي في الأدب الفرنسي على ما ألفه كل من "جان دولا فنوتين" Jean dela fontaine و"فرانسوا ريلي" François Rabelais الذين لم يستطع أحد مجاراتهما أو الكتابة على طريقتهما، كما لا ننسى "فيكتور هيجو" Victor hugo و"بلزاك" (1799-1850) Balzac الذي كتب "الملهاة الإنسانية" ونذكر أيضا الرواية التي كتبها "جون جاك روسو" Jean jak rousseau ألوان جديدة ورواية كورين للكاتبة "مدام دوستايل" Madame destael وكانت كلها من أشهر الروايات التي جعلت الأدب الفرنسي يرتقي إلى أعلى الدرجات ويجلب إليه كل الفئات التقليدية وساعد ذلك على تطور الرواية الفرنسية ودفعها إلى الظهور بمواضيع جديدة وأشكال مختلفة.

كما كانت للرواية الإنجليزية بصمتها في تاريخ الأدب ومن أعلامها "لويس كارول" Lewis carrol برواية "أليس في بلاد العجائب" ورواية "أبوкалиبس ناو" Apocalypse Now للكاتب "جوزيف مون غاد" Joseph conrad والتي صورها "فرانسيس كابولا" على شكل فيلم ونال شهرة عالمية، وهناك روايات أخرى تمتعت بشهرة فائقة لا في إنجلترا فحسب بل في القارة الأوروبية كلها، ونجد أيضا الكاتب الأمريكي "أرنست هيمنجواي" (1899.1961) قد كتب¹ رواية "العجوز والبحر" و"شارل ديكتز" (1812.1850) قصة "مدينة".

وفي ألمانيا نافست الرواية في الشعر والمقال، حتى أصبحت في القرن التاسع عشر أكثر الفنون الأدبية أهمية وتعد رواية "فاوست" Faust للكاتب "خوان ولفقا نفوقولي" Johan wolfgang vangrèlee من أشهر الروايات إذ وصلت شهرتها إلى حد التأثير في كبار الروائيين، وكان كذلك للأخوين "وليام جريم وجاكوب جريم" أعمال يفتخر بها الأدب الألماني، كما وضع "الياس كانتني" بصمته هو الآخر وهو كاتب إنجليزي من أصل بلغاري ولكن يكتب باللغة الألمانية، كتب رواية "دوتوا دا فولي" وترجمت إلى عدة لغات لما لها من

¹ - البريق في الرواية الجزائرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس أدب عربي، جامعة البويرة، إعداد ابن حراث لويضة، العشاشي فوزية، إشراف جبارة إسماعيل 2011/2012، ص4.

معان إنسانية عميقة، ويزخر الأدب الروسي بأعمال فريدة فكان كل من "أنطوان تيشكوف" برواية "النورس" والروائي فيدور دوستويفسكي وروايته "الساقي النزيه" ونجد "نيكولا قوغل" بروايته "الأرواح الميتة" والروائي "ألكسندر بوشكين" برواية "الورقة الخاسرة" فكلها روايات لم تتل إعجاب الجمهور الروسي فحسب وإنما تلقت إستقبالا في كل بلدان العالم لما كانت تحمله من رسائل للإنسانية، كما نذكر الروسي "تولستوي" (1822.1910) وروايته الحرب والسلم و"خوستياف فلوبير" (1821.1880) ووضعه للأشخاص والبيئة والمظاهر الاجتماعية.

2- نشأة الرواية في الأدب العربي:

قبل الحديث عن واقع الرواية في الأدب العربي نود التذكير بالظروف التي كان يعيشها المجتمع قبل دخول المستعمر، فقد كانت ثقافة العرب إسلامية عربية وكان لهذه الثقافة كيانه وعناصرها المستمدة من الدين والعلم والتقاليد القومية الاجتماعية، ثم جاء الاستعمار والذي بسببه عرفت الأمة العربية تراجعا في مختلف الميادين وذلك لاستيلائه لا على الثروات الطبيعية للبلدان فحسب ... إنما راح يحارب الثقافة العربية والدين الإسلامي.¹ كل هذه الظروف وغيرها أدت إلى دخول الأدب العربي في قوقعة وجعلته مغلقا على نفسه، لكن ذلك لم يكن عائقا أمام أدبائنا الذين جعلوا من الرواية مرآة عاكسة لحياة الشعوب العربية.

يستوقف الدارس لمسار الرواية العربية منذ إرهاباتها الأولى لصدى اختلاف الباحثين والمفكرين حول ظهورها على مستوى الوطن العربي سواء في مصر أو لبنان وسوريا وغيرها من البلدان، وعلى اعتبارها فن مستورد ومن هؤلاء: إسماعيل أدهم الذي يفسر الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعا عن الأدب العربي في بنيته التاريخية ويراه شيئا جديدا أوجده الاتصال بالغرب، ويذهب أديبنا الجزائري الطاهر وطار للقول بأن "الرواية

¹ - محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، ط1، بيروت، 2005، ص 11.

بالأصل فد لا نقول دخيل على اللغة العربية وإنما فن جديد في الأدب العربي، اكتشفه العرب فتنوه مثلما اكتشفوا في البدء المنطق فتنوه والفلسفة فتنوها".¹

وبالحديث عن أصول الرواية العربية فالبدائية تكون مع "قصص ألف ليل وليلة" وفي حكايات "كليلة ودمنة" إلى جانب بعض كتابات الجاحظ.

وتبقى بذلك الرواية في الأدب العربي فنا حديثا، والقصة التي يمكن عدها مكتملة البناء هي قصة "حي بن يقضان" للفيلسوف ابن طفيل رغم ما يغلب عليها من طابع فلسفي. "أما فيما يخص التأليف الروائي وبدايته عند العرب نجد أن أول من فتح باب التأليف هو سليم البستاني 1884 فوضع عدة روايات منها زنبوبيا وبدور، ونشر عبد الحميد خضر البوقرصاص روايته "الحياة" ام 1905 وفي عام 1910 نشر صالح حمدي حماد روايته "الأميرة يراعة وابنتي سنية"، ومن الممكن إضافة بعض العمال المتأخرة تاريخيا ومنها "الأطلال" لمحمود قيمور سنة 1934.²

2-1- الرواية في المشرق :

يرى الأدباء أن كتاب الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" مصطلح الفن القصصي في الأدب العربي الحديث ويذكرون بعد ذلك المويلحي وجورجي زيدان ثم يحملون الرجال عن رواية "زينب" 1912 لمحمد حسين هيكل التي أسماها صاحبها "مناظر وأخلاق ريفية" بقلم فلاح مصري وقد عدت هذه الرواية فتحا في الأدب العربي، بل عدت أول رواية واقعية في الأدب العربي الحديث.

"ويرى بطرس خلاق أن "الأجنحة منكسرة" لجبران خليل جبران تحققت فيها ميزتان: الفردية، والوطنية رغم ظهورها قبل زينب بسنتين ومع ذلك لم تعد الرواية الأولى. ونشر

¹ - صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مرجع سابق، ص7.

² - السعيد بيومي الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، يناير 1998، ص16.

سليمان البستاني محاولته الروائية على صفحات مجلة جنان البيروتية وأسمائها "الهيام في جنان الشام" سنة 1870.¹

وبهذا نرى أن الباحثين المصريين على الخصوص يجعلون من مصر سباقة في ميلاد الرواية أما بقية الأقطار فقد عرفت نشأة الرواية بعد ذلك، لأن لكل بلد ظروفه الاقتصادية والتاريخية والسياسية.

2-2- الرواية في المغرب العربي:

أ- الرواية التونسية:

ظهر في تونس أول عمل روائي على يد علي الحوعاجيفي "جولة بين حانات البحر الأبيض المتوسط" سنة 1935، وإن كانت البداية سنة 1906 برواية "الهيفاء وسراج الليل" لصالح السنوسي، ثم تلتها رواية "الساحرة التونسية" للصادق الرزوقي، كما ظهر نص "نجاة" للأديب محمد رزق سنة 1933، ثم محمود المسعدي في "حدث أبو هريرة قال" عام 1940 لكنها لم تنشر في شكل رواية إلا في عام 1973 وكذلك كتابه "مولد النسيان" نشر في فصول سنة 1945 لكنه لم ينشر في كتاب إلا عام 1974، أما في نهاية الستينات فنذكر رواية "الدقلة في عراجينها" للبشير خريف الذي يعد أب الرواية التونسية الحديثة،² غير أن هذه المحاولات تنسم بالطابع الوعظي الإرشادي وكتبها في الغالب مصلحون اجتماعيون أكثر منهم أدباء وتتميز هذه المحاولات بالقصور الفني، الأمر الذي يتعذر معه اعتبارها بداية حقيقية للرواية إنما هي تمهيد لعملية التأسيس.

ب- الرواية المغربية:

أما في المغرب فقد أرجع بعض الدارسين نشوء الرواية المغربية إلى الثلث الأول من القرن العشرين حيث ظهرت رواية "الرحلة المراكشية" عام 1924 للأديب عبد الله الموقث،

¹ - السعيد بيومي الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص8

² - الحاج بن علي، مظهرات الآخر في الرواية العربية المغربية، بحث لنيل درجة الماجستير جامعة وهران، 2009، ص10.

لكن العمل يميل للطابع التقريري مما يجعله أقرب إلى أدب الرحلة منه إلى الرواية ولذلك اعتبر بعضهم بداية الرواية في المغرب تتجدد بعام 1957 مع نص عبد المجيد بن جلون في روايته "في الطفولة" وعبد الكريم غلاب "دفنا الماضي" ومحمد زفزاف "المرأة والوردة" سنة 1972.¹

منها:

- "غادة أصيلا" و "الدمية الشقراء"، لعبد العزيز بن عبد الله.
- "الملكة خناثة" لأمنة اللوة عام 1954.
- أما في عقد الستينات فنجد الأعمال التالية:
- "ضحايا الحب" لمحمد بن التهامي سنة 1963م.
- "أمطار الرحمة" لعب الرحمن المريني سنة 1965م.
- "بوتقة الحياة" لأحمد البكري السباعي سنة 1966م.
- "غدا تتبدل الأرض" لفاطمة الراوي سنة 1967م.
- ويكتب علي الشبيبي "رنة الكأس" التي تعرض فيها لجوانب من حياة الريف.²

ج- الرواية الليبية:

- شهدت الرواية الليبية انطلاقها في ليبيا مع بداية الستينات ويتمثل ذلك في:
- "قصة أقوى من الحرب" 1962م و"حمار الكوف" 1964م لمحمد علي عمر.
 - اعترافات إنسان 1961م لمحمد فريد سيالة.
 - "غروب بلا شروق" 1968م لسعد عمر الغفير سالم.
- غير أن الأعمال المذكورة تبقى مجرد بدايات والانطلاقة الحقيقية كانت مع بداية السبعينات والثمانينات من القرن العشرين.³

¹ - ينظر صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 11

² - المرجع نفسه، ص 11

³ - المرجع نفسه، ص 12

د - الرواية الموريتانية:

ظهرت كشكل إبداعي يعتد به في بداية الثمانينات وأول رواية هي "الأسماء المتغيرة" لأحمد ولدر عبد القادر سنة 1981، ثم تبعها رواية "القبر المجهول" للكاتب نفسه سنة 1984، ثم ظهرت رواية "أحمد الوادي" للشيخ ماء العينين بن شيبه سنة 1987 فقد ظهرت هذه النصوص في ظروف كان فيها المجتمع الموريتاني في بداية الحداثة، وقد مثلت الرواية التاريخية أولية الرواية الموريتانية، وكانت شديدة الارتباط بالواقع فرصدت تحولاته وهزاته، ولم تجعل همها التأريخ للأحداث والأشخاص، بل جعلت الوقائع التاريخية خلفيات تنفذ منها إلى واقع فني.¹

هـ - الرواية الجزائرية:

لا يمكن بأي حال من الأحوال تناول موضوع تطور الرواية الجزائرية بمعزل عن الوضع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، وبطبيعة الحال فإن استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري أمر في غاية الصعوبة لتراكم الأحداث وتشابكها، وبالحديث عن تاريخ الجزائر النضالي نشير إلى فترتين هما:

• فترة ما قبل الاستقلال:

كان الإبداع الجزائري محصورا في جو من الضيق وعدم الحرية، ولكن على الرغم من ذلك فإن الأحداث قد أحدثت تحولات عميقة على المستوى الفني والأدبي من ثورة 1871 حتى ثورة 1954 مرورا بانتفاضة 1945 حيث ساهمت بشكل أو بآخر في بلورة الاتجاهات التي ستتجلى في الرواية المكتوبة باللغة العربية قبل وبعد الاستقلال.

حيث برز مجموعة من الروائيين الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية أمثال محمد ديب الذي كتب رواية "الدار الكبيرة" سنة 1952 و"الحريق" سنة 1954، وكاتب ياسين كتب

¹ - الحاج بن علي، تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، ص12

"نجمة" سنة 1956، إضافة إلى مالك حداد ومولود فرعون "انجل الفقير" 1956 ومولود معمري وآسيا جبار وغيرهم.¹

• فترة ما بعد الاستقلال:

تأخر ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية إلى السبعينات فقد كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحولات الثورية بكل تناقضاتها ومثلت هذه الفترة مجموع الأعمال الروائية منها: "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة التي تدور أحداثها حول الريف الجزائري، إضافة إلى رواية رواية "اللاز" للطاهر وطار ورواية "نار ونور" لعبد الملك مرتاض وجاءت رواية "طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش لتعالج وقائع الثورة، وكتبت زهور ونيسي روايتها "من يوميات مدرسة حرة" ومن الروايات التي اتخذت واقع الثورة بعدا لها نذكر: رواية الانفجار لحيدر ورواية المؤامرة لمحمد مصابق ورواية "كان الجرح وبإمكان" لمحمد الأخضر السائحي.²

لقد استطاع الكتاب التعبير عن مفهوم الوطن وقضاياها المختلفة واتخذت الرواية شكلها الحديث بفعل التطورات والعوامل المختلفة مروراً بحقب تاريخية ووصولاً لجنس روائي مكتمل فنياً.

أما إذا ذهبنا إلى العراق فقد كانت الرواية المصرية النموذجية الذي يقتدي به الكاتب، ونفس الشيء في فلسطين بحيث أن الرواية العربية لم يكن لها تأثير مبكر في الواقع ولم نلمح فيها إلا بعض المحاولات إذ لا نكاد نعثر على رواية فلسطينية بدأت مبكراً إلى حد ما مع الروائي "غسان كنفاني" و"إميل حبيب".

وتجدر الإشارة إلى أن الرواية العربية قد تأخر ظهورها مقارنة بالشعر والقصة ذلك نظراً للتحولات والعوامل المختلفة التي طرأت على العمل الأدبي فالرواية تتفتح مساهماً

¹ - صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، مرجع سابق ص 17

² - واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط ، الجزائر، 1986، ص 96

وتبحث في وسط مجتمع يتطلع للتغيير وهذا ما يعلل وجود أسماء بارزة في القصة وندرتها في الرواية العربية قبل فترة الخمسينات.

ولكن بمجيء فترة الستينات تغيرت الملامح الروائية وبدأت معالمها تبرز إلى الوجود واعتبرت بذلك فترة النضج والوعي بقضايا الوطن.¹

3- مفهوم البيئة ومفهوم الريف:

أولاً: مفهوم البيئة

أدى الاستخدام المكثف لمصطلح البيئة إلى كافة المستويات، وفي كل مجالات المعرفة إلى اكتسابه مفاهيم متعددة بتعدد العلوم الإنسانية، ومختلفة باختلاف مضامينها وغاياتها، كما يساهم من ناحية أخرى في جعل مفهوم البيئة من أكثر المفاهيم العلمية تعقيداً وأقلها فهماً لتداخله مع كافة العلوم الإنسانية الأمر الذي نتج عنه بروز البيئة الاجتماعية والبيئة الجغرافية والبيئة الاقتصادية والبيئة التسويقية والحضارية والثقافية والنفسية.

3-1- التعريف اللغوي للبيئة:

يرجع الأصل اللغوي لكلمة "البيئة" في اللغة العربية إلى الجذر "بؤأ" والذي أخذ منه الفعل الماضي بؤأ أي حلّ ونزل وأقام وقد ورد في لسان العرب: باء الشيء يبوء ببؤأ الرمح نحوه أي سدده من ناحيته وقابله به.²

وفي قوله تعالى { والذين تبوءوا الدار والإيمان }³ وفي قوله تعالى: { وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين }⁴ فمعنى البيئة في هاته الآية يتمثل في المنزل والمكان الذي هبأه سبحانه وتعالى ليوسف لأجل العيش فيه وقد تم استعمال كلمة البيئة بمعنى الحال الراهن للمكان المحيط

¹ - محمد صالح الجابري، طلائع القصة والرواية، مجلة الثقافة، ع 18 نوفمبر، 2008، ص 87

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 1، دار المعارف، ط 3، القاهرة، مصر، د.ت، ص 328.

³ - سورة الحشر الآية 09.

⁴ - سورة يوسف الآية 56.

بالإنسان -وهو تقريبا المعنى المستعمل اليوم- لم يكن الخيار الأول والوجه الأكثر استعمالا عند العرب وعلى كل فالمصطلح قطع هذه المرحلة ويات مستعملا بسلاسة ووضوح ذلك أن المقصود بالبيئة عند أكثر المتحدثين بها هو: المكان أو الحيز المحيط بالإنسان.

3-2- المفهوم الاصطلاحي للبيئة:

تباين الباحثون في وضع مفهوم متفق عليه لمصطلح البيئة، فكل باحث ينظر إليه من زاوية تخصصه لاعتبارات توغر إلى الاهتمام العلمي المتعدد والمتباين للبيئة، وقد استخدم العلماء المسلمين كلمة "البيئة" استخداما اصطلاحيا منذ القرن الثالث الهجري ويعتبر ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من استخدم مصطلح البيئة في كتابه "الجمانة" للتدليل على الوسط الطبيعي، الجغرافي والمكاني والإحيائي الذي يعيش فيه الكائن الحي عموما بما في ذلك الإنسان، وللإشارة أيضا إلى المناخ الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والفكري المحيط بالإنسان¹.

وتعرف البيئة بأنها "مجموع العناصر الطبيعية التي تكيف حياة الإنسان ونظرا لما سلف ذكره، يمكن استخلاص تعريف علمي لمفهوم البيئة الحية على سطح الأرض متضمنة الهواء والماء والتربة والمعادن والمناخ والكائنات أنفسهم".

كما يمكن وصفها بأنها: مجموعة من الأنظمة المتشابكة مع بعضها البعض لدرجة التعقيد، والتي تؤثر وتحدد بقاء الإنسان في هذا العالم والتي تتعامل وفق نظام دقيق ومتكامل يعبر عنه بالمنظومة البيئية.

ثانياً: مفهوم الريف:

- التعريف اللغوي للريف:

جاء في لسان العرب لإن منظور مادة (ريف): الريف الخصب والسعة في المأكل والمشرب وجمعها أرياف، والريف ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها، والريف أرض فيها

¹ - محمد عبد القادر الفقي، البيئة ومشاكلها وحمايتها من التلوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، مصر، 1999، ص09.

زرع وخصب، وفي حديث فرة بن مسيك وهي أرض ريفنا، وتريف القوم وأريفو تريفا صرنا إلى الريف وحضروا القرى ومعين الماء، ومن العرب من يقول راف البدوي يريف إذا أتى الريف، ومنه قول الراجز جواب ببداء بها غروق لا يأكل البقل ولا يريف ولا يرى في بيته القليف وقال الشاعر القطامي:

وراف سلاف شعشع البحر مزهجا*** لتحمي، وما فينا عن الشرب صادف¹

قالوا: راف اسم للخمر، تحمي أي تسكر. وأرافت الأرض إرافه وريفًا كما قالو أخصبت. ومن المسميات التي يتداخل استعمالها مع لفظة - ريف - مع ما بينها وهذه اللفظة من فارق في المعنى (القرية، البادية، المدينة....) فإذا ما عدنا إلى المعاجم اتضح معنى الآتي:

المدر: سكان البيوت المبنية، خلاف البدو وسكان الخيام.

المدرّة: القرية المبنية بالطين واللبن.

القرية: المصر الجامع، وكل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قرارًا، وتقع على المدن وغيرها²

أما في السنة فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عن الريف والبادية منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: "تفتح الأرياف فيأتي أناس إلى معارفهم فيذهبون معهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. قال مرتين"³

- التعريف الاصطلاحي للريف:

الريف هو المجتمع الذي يغلب على بيئته الطبيعية طابع النشاط الزراعي وما يتعلق به من خدمات ويعمل أغلب سكانه في الزراعة ويحتوي على كثافة سكانية أقل مقارنة بالحضر، بالإضافة إلى وجود سكنات مبعثرة ويتربع على مساحات كبيرة جدًا، وحسب

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط4، المجلد الخامس، بيروت، لبنان، 1990، مادة ر ي ف، ص 279.

² - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار مطابع المعارف، ط 2، مصر، 1972، ص20.

³ - صحيح البخاري.

الديوان الوطني للإحصاء فإن سكان الريف الجزائري يشكلون نسبة 33,50% من مجموع سكان العالم.

وأما في المعاجم الأجنبية فإن كلمة ريف تعني المكان الطبيعي الواسع حيث التجمع السكاني خارج المدن يعتمد أهله على الزراعة.

الريف (rural) وتعني القرية، ففي اللغة اليونانية نجد (rus) وتعني الريف فهذا الموصوف إذا أضيف للمضاف إليه أصبح (ruris) الذي يحمل صفتين متشابهتين هما (rustitus) أو (ruratis) وهاتان الصفتان هما السمة الريفية.¹

الريف إذ يعني القرية، وقد ورد ذكر القرية في القرآن الكريم واحد وخمسين مرة حيث ذكرت مفردة سبعة وثلاثين مرة، وذكرت تثنية مرة واحدة وذكرت جمعا ثلاث عشرة مرة قال تعالى: { فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها }² ولفظة القرية في القرآن تعني تجمع سكاني مستقر، "أما في السنة فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عن الريف والبادية منها عن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: تفتح الأرياف فيأتي أناس إلى معارفهم فيذهبون معهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، قالها مرتين".³

¹ معجم العلوم الاجتماعية، تأليف نخبة من الأساتذة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975، ص33

² سورة الكهف، الآية 74

³ صحيح البخاري.

الفصل الأول

تمظهرات الريف في الأدب العربي

1-الريف في ضوء علم الاجتماع:

إن معركة علم الاجتماع هي معركة مفاهيم وخاصة علم الاجتماع الريفي الحضري ولهذا فإن الضرورة تدعونا أكثر للخوض في بعض المفاهيم ولمعرفة ما قاله العلماء والباحثون في هذا الصدد وهذا ما يجعلنا ننتهج طريقة في الاستعراض لآراء العلماء في مجال علم الاجتماع الريفي أو دراسة الريف بغية توضيح مصطلحاتهم، في تتبع الفكر السوسيولوجي الريفي في ضوء سياقه التاريخ أو منذ البدايات الأولى عند علماء الاجتماع وآباء علم الاجتماع.

من الأوائل الذين اهتموا بالدراسة و الكتابة حول المجتمع الريفي العلامة العربي ابن خلدون الذي يعد بحق الأب الأول لعلم الاجتماع الريفي بالمفهوم العلمي من خلال تركيزه على خصائص ومميزات الريف¹، ويعتبر علم المجتمع الريفي علما حديث النشأة حيث بدأ كفرع لعلم المجتمع العام في القرن التاسع عشر من خلال أساتذة أمثال (سير هنري) و (ايتون) و(ستيمان) وآخرون، وقد كان تشكيل لجنة الحياة الريفية (country life commission) بواسطة الرئيس ثيودر روزيفلت (Theodore Roosevelt) العلامة البارزة في تاريخ علم المجتمع الريفي و ذلك في عام 1980 برئاسة السيد هوريس بلانكيت، وقد درست هذه اللجنة المشاكل الريفية، وقد لاحظ علماء المجتمع تقرير اللجنة حيث كان موضوع الجمعية الأمريكية لعلم المجتمع عام 1912 هو "الحياة الريفية" ومن هنا تركز اهتمام مجموعة من العلماء حول مشاكل المجتمع الريفي وصدر أول كتاب في علم المجتمع الريفي 1916 والذي نشره (N.Gillettee) وكانت أول رسالة دكتوراه في علم المجتمع الريفي تحت إشراف العلامة فرانكلين جيد ينجز في جامعة كولومبيا.²

¹ - الخدمات الاجتماعية في الريف الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد هجيرة عمرون، إشراف بلقاسم بوقرة، قسم علم الاجتماع، جامعة باتنة، 2009-2010م، ص:17.

² - محمد نبيل جامع، علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية، جامعة الإسكندرية، مصر، د ط، 2011، ص:19.

يهتم علم المجتمع الريفي بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي بالمناطق الريفي، ويمكن تعريفه بأنه: الرؤية المحكمة الدقيقة لأنماط العلاقات الإنسانية الريفية المتباينة ومحاولة تفسيرها من خلال معرفة أسبابها ونتائجها ثم اقتراح السياسات والأساليب والإجراءات التي تؤدي إلى رفاهية السكان الريفيين، ويعرف الدكتور محمد منير الزلافي مؤسس العلوم الاجتماعية الزراعية في الوطن العربي وأستاذ الاقتصاد الزراعي بجامعة الإسكندرية علم المجتمع الريفي كما يلي: "هو العلم الذي يشمل مجموعة الحقائق والروابط القائمة بينها مصاغة في صورة أفكار وآراء وأساليب...من ذلك خير السبل إلى مقاومة الآفات الاجتماعية الريفية والى تحسين مستوى الحياة الإنسانية الريفية"¹.

ويعرف الدكتور زيدان عبد الباقي علم الاجتماع الريفي بأنه: "علم وصفي تقرير يرمي إلى دراسة القرية كظاهرة اجتماعية التي يحدّث إن توجد في الريف، دراسة علمية تحليلية للوقوف على حالة المجتمع الريفي واتجاهاته ونواحي التخلف أو التقدم في هذا المجتمع."²

أما عند ابن خلدون فقد اهتم بشرح بنيات وخصائص وسمات المجتمع الريفي، حيث انطلق من العوامل الاقتصادية لفهم المستوى الريفي، فأهل الريف عنده هم أولئك الذين يتخذون من الفلاحة مهنة لهم،/ ويفرق ابن خلدون بين البداوة والريف، حيث إن أهل الريف تتصف حياتهم بالاستقرار الدائم، ولا يضطرون للترحال كما هو حال البدو، ويقر ابن خلدون إن متانة العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أهل الريف هي قائمة أساسا على القرابة والنسب، يقول ابن خلدون في المقدمة: "اعلم إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش"³ وأهل البداوة عنده صنفان: صنف يشتغل بالزراعة فيكون

¹ - محمد نبيل جامع، علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية، المرجع السابق، ص 26.

² - الخدمات الاجتماعية في الريف الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المرجع السابق، ص 19.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 90.

مقيما ويسكن القرى والمداشر والجبال، وصنف ثان يعتمد في معاشه على تربية الماشية وهم الرحل. ومادام التمدن غاية للبديوي، فإن البادية أهل العمران والأمصار مدد لها.¹

يقول في المقدمة: "وما يشهد لنا إن البدو أصل الحضرة ومتقدم عليه إن إذا فتشنا أهل مصر من الأمصار أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه، وإنهم ايسروا فسكنوا مصر... وذلك يدل على إن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها فتفهمه".²

فالبادية كبيئة جغرافية يمكن إن تعتبر امتدادا للريف كما يمكن إن تكون نقيضا له حسب الموقع والنشاط. إن البداوة قيمة ومشاعر وخلاق وسلوك يمكن إن ترحل مع البدوي حين يغادر باديته، بل إن أبناءه يتوارثونها لازمان.³

وأن كانت خصائص الحياة الريفية تتميز بالصفات الذي ذكرها ابن خلدون من بساطة وتواضع وبعد عن الترف فإن هذه الخصائص ليست ثابتة لكل تجمع ريفي، بل قد تخضع للتغيير والتحول الذي يتبع صيرورة المجتمع، وهذا التغيير لا يصيب الجانب المادي إنما يتعداه إلى ما يتعلق بالجوانب الثقافية والسلوكية ويمكن إرجاع هذا التحول إلى عوامل داخلية و أخرى خارجية:

- العوامل الداخلية: وتتمثل في التوسع السكاني ووفرة الإنتاج.
- العوامل الخارجية: ويقصد بها المنافسة بين الجماعة البشرية بغية تحقيق الأهداف المختلفة لا يسلم منها المستوى الفلاحي.

إضافة إلى عامل الصناعة كل ذلك يؤدي إلى تغيرات في سلم القيم بدرجة متفاوتة من جماعة لأخرى تبعا للظروف وثقافة كل منها وما تتميز به من مرونة أو تصلب.⁴

¹ الحبيب الجناحي، ابن خلدون، والفكر العربي المعاصر، الدار العربية للكتاب، د ط، 1980 ص 473.

² عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص 97.

³ محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، 1989، ص 173.

⁴ عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريف الحصري، ديوان المطبوعات الجزائرية، د ت، ص 57.

مفهوم ابن خلدون للريف ينطلق من واقع عايشه في بلاد المغرب العربي أو المشرق العربي، لذا نراه يقسم التجمع السكاني تبعاً للظروف الاقتصادية والاجتماعية بحسب كل منطقة ومن ثم رتب دراسته ووصفه لخصائص الجماعة في ضوء بنياتها الاجتماعية والثقافية، يبدو ابن خلدون في نظريته إلى تأثير المعاش على أحوال الناس رائد المادية التاريخية وجعل من المعاش (العامل الاقتصادي) عاملاً من جملة عوامل أخرى مؤثرة في أحوال الناس مثل عامل المناخ والعصبية والدين ولا يمكن بحال من الأحوال نكران ما للمعاش من أثر في حياة الناس اليومية.¹

غير إن تأثير المعاش محدود ولا يشمل بالضرورة كل أحوال الناس بدليل إن هناك مجتمعات حديثة ومتقاربة في مستواها الاقتصادي، وطرق معاشتها إلا إن ذلك لم يكن موحداً لها، وقد نجد في المجتمع الواحد مستوى معيشي واحد، إلا أنه لا يعمل على توحيد عقائد أفراد وسلوك بعد ابن خلدون سعى بعض علماء الاجتماع الأوروبيين للقيام ببعض المحاولات من أجل إعطاء مفهوم للريف من خلال التصنيفات الثنائية، من هذه المحاولات:

1-1- ثنائية دور كايم:

وهي التي تقابل بين مجتمع يسوده التضامن الآلي، وهو الريف حيث يصفه بأنه بسيط، محدود النطاق، غير معقد التركيب غير خاضع لمبدأ وتقسيم العمل وبين مجتمع يسوده التضامن العضوي، ويقصد به المدينة، فهي واسعة النطاق معقدة التركيب، تخضع لمبدأ تقسيم العمل.

1-2- ثنائية فرديناند تونيز:

وهو يقابل بين ما يسميه المجتمع المحلي ويعني به الريف الذي تسوده روابط القرابة والعلاقات الأولية التي تتميز بالتضامن وقوة الروابط والتي يطلق عليها الإرادة الفطرية، ثم بين المجتمع العام ويقصد به مجتمع المدينة التي تسوده علاقات المصلحة والتعاقد، لذا

¹ خالد كبير علال، أخطاء ابن خلدون في كتابة المقدمة، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 2005، ص 83.

فالروابط الاجتماعية في هذا المحيط العام والمشاركات الوجدانية غير متكاملة والعلاقات الفردية قائمة على الحذر والمنفعة الخاصة.¹

1-3- ثنائية تشارلز كولي:

تقابل هذه الثنائية بين مجتمع تسوده العلاقات الأولية التي تتسم بالقوة والتماسك والتعاون داخل المجتمعات الصغيرة والأرياف، وبين مجتمعات تسودها العلاقات الثانوية والتي تتميز بضعف العلاقات الشخصية المباشرة، وسيادة العلاقات الرسمية التعاقدية.² من خلال ما تقدم يبدو إن ما جاء به الباحثون الغربيون لم يخرج كثيرا عما جاء به ابن خلدون، وما أضافوه أو تفردوا به إنما مرده إلى المنهج والأدوات المستخدمة، واستفادتهم من الدراسات حول هذا الموضوع نظرية الثنائيات عند هؤلاء تضع الريف في مقابل المدينة، وركز ابن خلدون في نظريته على قضايا محددة هي: البداوة، الرعي، المدن، فلم يعط للزراعة حقه من الدراسة بل كان منشغلا بالبداوة والحضر .

2- الريف في الشعر العربي القديم:

ارتبط الشعراء القدامى بأرضهم وأوطانهم، فقد عرف عنهم وقوفهم على الأطلال وانتشر لديهم شعر الحنين إلى الديار والأهل فصوروا حالات الغربة والبعد ، ظل الشاعر الجاهلي يرصد لمظاهر بيئته متخذا عناصرها مادة أساسية لإلهامه. فإذا كانت البادية منبت الكرم والأخلاق، فإنها كذلك منبت للشعر والشعراء، فكيف تعامل الشعراء مع المكان؟ والمقصود بالمكان البادية باعتبار إن جل الشعر العربي في العصر الجاهلي بدوي المولد، ولو نظرنا إلى الآثار الشعرية لرأينا إن المواضيع التي يتكلم عنها الشعراء مستمدة من البيئة التي عاش فيها.³

¹ - مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، وزارة الثقافة المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1967، ص 145.

² - محمد توفيق السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دار الشروق، جدة، السعودية، ط2، 1985، ص:226/225.

³ - إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط4، 1967، ص:78.

كان نتاج ارتباط الشاعر ببيئته هو ثقافة و موقف و نظرة الحياة فنجد الشاعر الشنفرى (لامية العرب) يقف من المدينة التي لم يعيش فيها ي حدثنا عن نفسه وهو في البيداء مصاحب للوحوش محتملا لشظف العيش فيها¹

وبانتقالنا إلى عصر التجديد بعد مجيء الإسلام نجد أن الشاعر اتخذ من المدينة موقفين، موقف القبول، وموقف الرفض والقطيعة فلم يتوان في هجائها كما جاء على لسان أحدهم:

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة *** وازداد من نجد وساكنة بعدا

إلا إن بغداد بلاد بغیضة *** إلي وان أمست يعيشها رغدا

بلادي ترى الأرواح فيها مريضة *** وتزداد نتنا حين تمطر أو تتدى²

موقف هذا الشاعر وأمثاله أنهم وجدوا في المدينة ما يدعوهم إلى بغضها وبالتالي هجأوها، لأنها عالم تمرض فيه الأرواح، وتتبعث منه الروائح الكريهة حين تمطر السماء ومن ثم يغدو الريف المكان الذي تأنس له ذات الشاعر وتحتمي به، وعلى العكس من ذلك فإننا نجد بعض الشعراء يجدون في المدينة مكانا للسعادة، لأنه لا يجد المتعة في غيرها فمثلا أبو نواس نجده يسخط على البادية وحياة الأعراب فيها فيقول:

بلاد نبتها عشر وطلح *** وأكثر صيدها ضبع و ذيب.

ولا تأخذ عن الأعراب لهوا *** وعيشا فعيشهم جذيب.

فهذا العيش لا خيم البوادي *** وهذا العيش لا اللبن الحليب.³

أما عند شعراء المهجر فنجد عندهم ثنائية المدينة- القرية في صيغة علاقة الصراع والمفاضلة بينها خاصة وإنهم تمثلوا الموقف الرومانسي فنجد علاقة جدلية بين المدينة والقرية في الأعمال الأدبية لجبران خليل جبران والياس أبي شبكة، فجبران ابن الريف اللبناني

¹ - أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم، دار العلم، بيروت، لبنان، ط6، 1982، ص 355.

² - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان دت، ص 466.

³ - ديوان أبي نواس، (ت)، عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 37/35.

ملاً أنفاسه حتى آخر العمر وظل يذكره في هجرته إلى أمريكا، كما عشق الياس أبو شبكة القرية اللبنانية، حيث يرى في طبيعتها الخير والعطاء، موطن الغنى والفرح يقول:

حقولنا سهولنا *** كلها طرب كلها غنى.

الشمس فيها ذهب *** والسواقي منى¹.

كما نجد الشاعر "الحجازي" يتكلم على حب كان قد ودعه في القرية وهو لا يزال في مقتبل العمر يعيش بين أحلام الشعراء والشباب، ولكن بعد إن حملته مواكبة الرياح إلى المدينة يواجه ليلها القاسي بلا حب ويمضي في فراغ بارد يستجدي خيال صديق فلا يجد اخذ ينادي حبيبة الغائب:

ملاكي طيري الغائب؟

تعال، قد نجوع هنا

ولكننا هنا اثنان

ونعري في الشتاء هنا ولكننا هنا اثنان²

وتبلغ الفرحة بالشاعر عبد المعطي حجازي ذروتها حين تأتي الحبيبة من الريف، فهي تلك التي تستطيع إن تحتل معه حياة الجوع والعري.
-حبيبي من الريف جاء.

كما جئت يوماً حبيبي جاء

وألقت بنا الريح في الشط جوعي عرايا

فأطعمته قاطعة من فؤادي.³

وقال:

يا أيها الإنسان في الريف البعيد.

¹ إيليا الحاوي، الياس أبو شبكة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)ص:189.

² عبد المعطي حجازي، مدينة بلا قلب، ج2، دار العودة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)ص:223.

³ المرجع نفسه، ص: 110.

يا من تعاشر أنفاسا بكماء لا تتطق.

وانأ أريد لها الحياة على الشفاه.

يا أيها الإنسان في الريف البعيد¹

وقال أيضا:

وانأ ابن الريف

ودعت أهلي وانتجعت هنا

يكن قبر أبي، بقريتنا هناك، يحفه الصبار

هناك مازالت لنا في الأفق دار²

وفي الشعر الجزائري الحديث نلمس هذه المفاضلة بين الحضر والبادية أو الريف في شعر الأمير عبد القادر في القصيدة التي تنتصر فيها الحياة البادية مفضلا إياها على حياة المدن ويرد فيها على الذين يلتمسون الأعذار للهائمين في حب الوطن وينكرون ذلك عشاق الأرياف والبوادي لجهلهم بحياة البادية، حياة البساطة وجمال الطبيعة ونقاء الجو ولو كانوا يعرفون هذا لعذروا الشاعر في هيامه بالبادية، يقول:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر *** وعاذلا لمحِب البدو والفقر

لا تذمن بيوتا حق محلها *** وتمد من بين الطيف والحجر

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرنى *** لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

ثم يضيف متحدثا عن اثر الحياة في البادية على الإنسان من النواحي الصحية والنفسية، والخلقية فالحياة في البادية تكسب الإنسان مكارم الأخلاق، وتبعده عن النفاق، كما تكسبه صحة في الجسم بما فيها من هواء نقي خال من الأمراض والجراثيم ومتى سلم الإنسان من الأمراض طال عمره.

ما في البداوة من عيب تدم به *** إلا المروءة والإحسان بالبدر

¹ عبد المعطي الحجازي، مدينة بلا قلب، المرجع السابق، ص 27.

² المرجع نفسه ص 29.

وصحة الجسم فيعمل غير خافية *** والعيب والداء مقصور على الحضر

من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدا فنحن أطول خلق الله في العمر¹

شاعر آخر هو محمد آل خليفة لا يختلف عن سبقوه في هيامه بالريف وحياة البساطة حيث يتوجه إلى أولئك الذين سحرتهم المدينة ببهرجها الزائف بالتوجه إلى الريف حيث جمال الطبيعة وصفاء الجو ونقاؤه لا الجو الخانق للمدينة.

يا ساهر الليل لا خانتك باصرة *** ولا عداك على الغافين إشفاق

أنزل ألينا قليلا نصطحب زمنا *** فكلنا لجمال البدو عشاق

الكوخ أبهى من الأفلاك نيرة *** والقصر يعلوه طاق فوق طاق

دع الحواضر لا يغرك زخرفها *** فجوها قاتم كالغاز خناق

عيش البوادي نظير لا نظير له *** وجوها لعضال الداء ترياق²

3- الريف في السرد العربي القديم:

تأثر النثر بالآداب الأجنبية التي عرفها العرب حين انتشر بفضل الإسلام الذي جاء فأيقظ العرب واثار ما سكن من نشاطهم وحياتهم وحبب إليهم القوة والجاه والملك، فانطلقت ألسنتهم، وظهر فيهم الكتاب والخطباء و الشعراء ولهم كغيرهم من الأمم الأخرى قصص وحكايات و أساطير وخرافات يملؤن بها أوقات فراغهم، ويصورون فيها جوانب من حياتهم وان مالوا إلى القصص القصيرة والبسيطة بسبب فطرتهم، حيث لم يكونوا مفطورين على القصة التي تقرأ أياما وأسابيع ولذلك فلا نثرهم من الآثار القصصية الطويلة التي وجدت عند معاصريهم في الشرق والغرب³.

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، الأمير عبد القادر، شرح(ت): ممدوح حقي، دار البقعة العربية، دمشق، سوريا، د ط، د.ت، ص:22.

² - محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت، 1979، ص 56/57.

³ - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 57.

ومن الإشكال التي عرفها العرب فن المقامات الذي ظهر في القرن الرابع الهجري على يد الهمداني والحريري" فالمقامات الهمدانية من الحوار والحركة والحكمة مما يجعلنا نقرر في اطمئنان إلى أنها تمثل الذروة القصصية في الأدب العربي القديم يضاف إلى هذا أحاديث ابن دريد وروايات أبي الفرج الاصبهاني، وحكايات ابن الانباري و الجاحظ وغيرهم. يرى الدكتور عبد الملك مرتاض إن البدايات الأولى للقصة العربية ترجع إلى أحاديث ابن دريد بعد البخلاء للجاحظ خلدها من العقدة الفنية والصراع¹.

من المعروف إن جذور القصة الشعرية نبتت في الأدب العربي قبل إن تثبت جذور القصة النثرية، وعرفت القصة على يد الجاحظ في (البخلاء) وابن دريد في الأحاديث التي كان يطالع بها الناس فينقلونها عنه ويروونها.

تدور أحداث القصة الشعرية التي يمثل لها مرتاض في بادية الصحراء باعتبار إن البطل عاش فيها أكثر مما عاشه في المدينة²، يمثل أيضا للقصة الشعرية بقصة جميل وبثينة والتي تدور أحداثها بالبادية، وهي من القصص الرومانسية بالرغم من شكوك بعض الدارسين أمثال طه حسين حيث يرد مرتاض على رأي هؤلاء بأنه لا يهمننا إن نقع في الحوادث من صميم المجتمع العربي في بادية نجد و الحجاز³.

شكلت (بغداد، البصرة، مكة، المدينة) حيزا كبيرا لإحداث تلك الإشكال القصصية النثرية، باعتبار إن القاص فرسا اكبر من الشاعر في مجال فني أرحب و أوسع فالبادية جاء ذكرها قليل، ولعل إن السبب يعود إلى إن هؤلاء الكتاب من مواليد المدينة التي عاشوا فيها ووضعو قصدا تلك الإشكال القصصية" يدونون بها بعض الوصاف أو يذيعون بها

¹ - عبد الملك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968، ص:177.

² - المرجع نفسه، ص:57.

³ - المرجع نفسه ص: 95.

بعض النوادر، أو يعطون بعض الجوانب التاريخية صورة مغرضة يخدمون بها بعض الأحزاب...مما جرى ودار من أحداث في هذه المدينة أو تلك¹.

أما بالنسبة للجاحظ (البخلاء) فيمكن العودة إليه على الرغم من انه لم يكن كاتباً قصصياً متخصصاً وكذا أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزمان الهمذاني لنجد إن البادية يأتي الحديث عنها في إطار عام ولن يتوقف احدهم عن البادية المكان بالوصف ففي قصص الجاحظ جاء الإطار المكاني ذا بعدين عام وخاص:

3-1- البعد المكاني العام: المقصود به البعد الجغرافي الذي يشمل مجموعة الصور، ويقوم على المدينة أو القرية.

3-2- البعد المكاني الخاص: وهو مسرح أحداث الصورة وهو غالبا ما يكون بغرفة في منزل و قد يكون حماما أو مسجدا.²

نجد أيضا من أمثلة الصور التي يتابع فيها بخلاءه في مساكنهم في أكلهم، وهمومهم ومشاكلهم، بخلاء مروا وهي بادية من البوادي العربية آنذاك: " ها نحن أمام مباقل بحضرة قرية الأعراب في طريق الكوفة، لنجد خمسين رجلا من أهل مروا يتغذون فلا نرى من جميع الجالسين رجلين يأكلان معا، وهم في ذلك متقاربون ي حدث بعضهم بعضا."³

ونجد الجاحظ يت حدث عن طيور أهل مرو وحيواناتهم، فديكة مرو ليست كبقية الديكة فهي تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب، قال: " فعلمت إن بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء فمن ثم عم جميع حيواناتهم"⁴

لا تكاد تذكر البادية في فن المقامات لدى بديع الزمان إلا من خلال الأعراب الذين يعتقد أنهم " الأصل في ظهور فقد كانوا يغرون بالأجواء والأغنياء وربما عامة الناس أيضا،

¹ - زكي مبارك، النشر الفني في القرن الرابع، المرجع السابق، ص: 241.

² - فاروق سع، بخلاء الجاحظ، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1980، ص: 46.

³ - المرجع نفسه، ص: 49.

⁴ - عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1980، ص496.

إغراء شديدا يظاهروهم على ذلك ألسنتهم الفصيحة ولهجاتهم المليحة وطمعهم في نيل بعض الدراهم بدون عمل.¹

استطاع الأعراب النازحون من البوادي الاتصال بالخلفاء والأمراء فقد كانوا يتوجهون نحو العامة في الأماكن التي يقصدها هؤلاء كالمساجد ومواسم الحج والأسواق ثم يسألونهم مستغلين في ذلك قدرتهم البلاغية وعذوبة لهجتهم التي تؤثر فيهم، فتجعلهم يبادرون إلى تلبية طلباتهم فقبل ذلك كانوا لا يستطيعون الاتصال بهم لان الحجاب كانوا يمنعونهم بمجرد الاقتراب من أبواب القصور،² فقد اعترض أعرابي عتبة بن أبي سفيان وهو على مكة فقال: "أيها الخليفة قال: لست به ولم تبع، فقال: فيا أخاه، قال: أسمعت فقل ! قال: شيخ من بني عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخؤولة، ويشكو إليك كثرة العيال، ووطأة الزمان وشدة الفقر، وترادف ضرر، وعندك ما يسعه ويعرف عنه بؤسه فقال عتبة: استغفر الله منك، واستعينه عليك، فقد أمرنا بغناك، فليت إسراعنا إليك، يقوم بإبطائنا عنك.³

كتابات الريف منتج ثقافي تاريخي، يرصد واقع الريف ويستمد مواضيعه من نسيج المجتمع الريفي، وإذا كانت الرواية في السابق قد عالجت قضايا مصيرية كبرى للأمة كمواضيع الاحتلال والتحويلات التي شهدتها الريف بعد الاستقلال، فقد فرضت رواية الريف نفسها في ظل الاهتمام الكبير الذي يوليه القارئ والإعلامي لرواية المدينة، وقد اشرنا إلى بعض الأعمال الروائية التي ركزت عدساتها على البيئة الريفية واتخذتها فضاء لها من منظور الروائيين الجزائريين سواء الذين فرضت عليهم الظروف التعبير بلغة أجنبية أو الذين مارسوا هواية الكتابة باللغة إلام وعبروا بها عنه، أما عن الريف في ضوء علم الاجتماع فهو يهتم بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي بالمناطق الريفية أما عن الباحثون الغربيون فلم يخرجوا كثيرا عما جاء به ابن خلدون في نظريته على قضايا محددة.

¹ - عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، المرجع السابق، ص: 35.

² - المرجع نفسه ، ص: 36/35.

³ - المرجع نفسه، ص: 38.

أما بالنسبة للريف في الشعر العربي القديم فنجد إن أغلب الشعراء يكتبون عن الريف بحكم نشأتهم وتربيتهم في البوادي ونجد منهم من تغنى به وببساطته وعلى العكس من ذلك فنجد بعض الشعراء يتغنون بالمدينة ويجدون فيها مكانا للسعادة والمتعة، أما عن أحداث القصص فنجد منها ما تدور أحداثه في الصحاري، ونجد الكتاب يسردون القصص واصفين البادية وحال الناس فيها واقتربهم من الخلفاء والأمراء، ووصف البيئة بشكل عام.

4- الريف في الرواية الجزائرية:

لا يمكن بأي حال من الأحوال التعرض للرواية الجزائرية دون الإحاطة بالجوانب السياسية والاجتماعية التي كان لها دور في ظهورها. عرفت الجزائر عقب الاحتلال نشاطا سياسيا، بدأ مع حمدان خوجة الذي حاول ما يمكن إن يعد أول حزب وطني عرف بلحنة المغاربة¹.

استطاعت الحركات التحررية نشر أصدائه في أوساط الجزائريين، كما كان للحرب العالمية الأولى دور في ذلك ومكنهم من انخراطهم في الأحزاب اليسارية من التأثير بالمبادئ الشيوعية والتي كانت تحمل بذور الثورة، لقد أدى هذا الإحساس المتناهي بالذات والهوية إن انبثقت عنه تنظيمات وأحزاب اتخذت تيارات ثلاثة:

4-1- التيار الأول: كان أصحابه يطالبون بضرورة المساواة بين الجزائريين و الأقلية الفرنسية ويمثل هذا التيار الأمير خالد، ثم تطورت مطالبه إلى التجنيس والاندماج. انبثق عن هذا التيار حزب البيان والحرية الذي قاده فرحات عباس حيث راح يطالب الجمهورية الجزائرية مرتبطة بفرنسا في اتحاد فدرالي.

4-2- التيار الثاني: حمل على عاتقه مسؤولية المطالبة بالاستقلال ممثلا في نجم شمال إفريقيا برعاية مصالي الحاج وانتقل للجزائري باسم حزب الشعب الجزائري ثم باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية.²

¹ أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1930/1900)، دار الآداب، بيروت، لبنان، (د.ط) 1969، ص: 35.

² يحي بوعزيز، الجزائر في القرن التاسع عشر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، (د.ط) 1980، ص: 2/286

4-3- التيار الثالث: تمثل غي جمعية علماء المسلمين التي تأسست في الثلاثينات ولعبت دورا بارزا في إعلاء المفهوم الوطني الجزائري وتأكيد عروبة الجزائري لقد انعكست الأحداث التي مرت بها الجزائر منذ إن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي الجزائر، انعكست في الأدبية شعرا ونثرا وبما أننا بصدد الحديث عن الرواية، فانه يمكن التمييز بين فترتين، فترة ما قبل الاستقلال وفترة ما بعده.

أ/ مرحلة ما قبل الاستقلال:

لعل أول عمل روائي هو (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) لمحمد بن إبراهيم الذي يعود تاريخه لسنة 1849، حيث تعد أول عمل روائي عربي حيث سبق رواية (زينب) لهيكل والتي تؤرخ لها بميلاد الرواية العربية الحديثة سنة 1914¹ وكذلك نجد رواية (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو سنة 1947 و (الطالب المنكوب) لعبد المجيد الشافعي سنة 1951 و (الحريق) لنور الدين بوجدره سنة 1957.

ومهما يكن الأمر الجدل في تحديد البدايات الأولى للرواية الجزائرية فان السؤال الذي يؤسس على هذه التواريخ هو: لماذا تأخر ظهور الرواية العربية بعد الاستقلال إلى سنة 1967؟

يرد الدكتور الركيبي هذا التأخر إلى الفن الروائي في حد ذاته، ذلك انه فن صعب يتطلب من ممارسة الصبر وطول التأمل، يضاف إلى هذا انعدام النماذج الروائية الجزائرية التي يمكن النسج على منوالها² إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشعب الجزائري إبان فترة الاحتلال وسياسة التجهيل التي فرضها عليه والتي تولدت عنها صعوبة في ممارسة الكتابة خاصة بالعربية يضاف إلى كل هذا صعوبة النشر والطباعة³.

¹ عمر بن قينة، الريف والثورة في الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط) 1988، ص: 13/12.

² عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830/1974)، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، (د.ط)، 1967، ص: 179.

³ عايدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925/1967)، تر: محمد صقر، المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1982، ص: 61.

ورغم الضعف في تناول القضايا الاجتماعية (خاصة منها قضية المرأة) والذي ستغطيه رواية السبعينات، فإن تدني مستواها الفني يعود إلى غياب نماذج روائية عكس الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي استفادت من الرواية "الكولونيالية" ولو من حيث الصيغ الشكلية .

ب/ مرحلة ما بعد الاستقلال:

بعد إن استرجعت الجزائر سيادتها ودخلت في جو من التغيرات القاعدية، حيث مكنت العشر سنوات الأولى التي أعقبت الاستقلال الروائيين الجزائريين من الانفتاح الحر على العربية و المعاصرة.

وهكذا اعتبرت فترة السبعينات المرحلة الفعلية التي شهدت القفزة الحقيقية للنهوض بالفن الروائي في الجزائر حيث ظهرت أعمال روائية ثل (ما لاتذروه الرياح) لعرار محمد و (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوفة، (اللاز) للطاهر وطار إضافة إلى أعمال روائية أخرى.

أغلب هذه الروايات التي ظهرت في هذه الفترة حاولت أن تعالج أحداث مرحلة الثورة التحريرية، أو الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عنها، فرواية (اللاز) للطاهر وطار اهتمت بالثورة وأحداثها وإن كانت الثورة في آخر الأمر إنما هي إطار زمني واجتماعي يعالج الكاتب من خلاله موقفا "إيديولوجيا" يقول محمد مصايف: { هذه هي رواية اللاز في محتواها العام، وفي اتجاهها الإيديولوجي السياسي في الأدب الجزائري الحديث¹ وسارت على هذا الاتجاه أعمال روائية لاحقة مثل "نار ونور" لعبد المالك مرتاض 1975، و"طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش 1976، "الشمس تشرق على الجميع" لإسماعيل غموقات 1977. أما رواية "ما لا تذروه الرياح" لمحمد عرار فقد حاول فيها صاحبها معالجة الآثار النفسية والاجتماعية التي عانى منها الشعب الجزائري عامة وطبقاته المحرومة خاصة}.

¹ محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، بيروت، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص: 05.

وعموما يمكن القول: إن الرواية العربية الجزائرية في هذه الفترة "السبعينات" أسست للفن الروائي الجزائري وكانت وريثه الاتجاه الذي ساد في الرواية المكتوبة بالفرنسية من التزام سياسي إلا إن الرواية العربية كانت تبتعد عن الفنية - نسبيا - كلما اقتربت من "الايولوجيا" في بواكير الكتابة باستثناء الروايات الأولى "صوت الغرام" و "الطالب المنكوب" فالباحث لا يقف في مرحلة السبعينات على رواية عربية تمتاز برمزية "نجمة" لكاتب ياسين والبناء الفني المبدع وباللغة الروائية المتقنة "الطلاق" لرشيد بوجدره.¹

وبعد الاستقلال ظلت الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية تتخذ من الثورة المباركة إطارا عاما لأحداثها ووقائعها مثل "الأفيون والعصا" المولود معمري في 1965، منتصف الستينات، غلبت على الروايات النزعة الانتقالية حيث راح الكتاب يشدون اللهجة ضد الأوضاع السياسية والاجتماعية مثل "رقصة الملك" لمحمد ديب 1968، و"المؤذن" لمراد بوربون 1968 و "ضربة شمس" بعد حوادث أكتوبر 1988 وبرز روايات هذه الفترة "شرف القبيلة" 1989 لرشيد ميموني، ومع صعود المد الإسلامي في التسعينات، برزت أعمال روائية تنتقد هذا المد وتعتبره خطرا سياسيا واجتماعيا يهدد الديمقراطية والحريات العامة وبرز روايات هذه الفترة "اللغة" لرشيد ميموني 1993.²

كان ظهور الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية في القرن العشرين بتأثير من الأدب الغربي ونتيجة عملية طويلة من المثاقفة، مثاقفة خاصة أطلق عليها المختصون في الانثربولوجيا " مثاقفة تصادمية" كان من نتائجها محاولة محو الجذور العميقة للهوية الفردية والجماعية، وبعد الاستقلال اعتبر كتاب هذه الفترة اللغة الفرنسية "غنيمة حرب" فاستجابت الأعمال للتغيرات التي عرفتها البلاد في شتى المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلى الرغم من التسمية (الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية) كواقع يومي لا يلغي

¹ لينا عوض، تجربة الطاهر وطار ، الروائية بين الايدولوجيا وجماليات الرواية، عمان 2000، ص: 27.

² احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت) 2007، ص: 122/124.

الإشكالات التي تطرحها والمتعلقة بهويتها هل يدخل هذا في الأدب الجزائري؟ أو في الفرنسي؟ ومع ذلك فقد استمر الأدباء الجزائريون يكتبون بالفرنسية.

وبالنظر إلى رواية الريف في الجزائر فإنها ارتبطت بأحداث الثورة حتى إن الناتج الروائي بعد الاستقلال يكاد ينحصر في هذه الموضوعات ذلك إن الصراع مع الاستعمار لا يكلفهم عناء اتخاذ الموقف الواضح من مختلف القضايا الملحة المطروحة أمامهم¹ وما يعزز هذا الرأي ما ذهب إليه الروائي الطاهر وطار بقول: {لقد عبر الأدب الجزائري قصة ورواية عن الحرب التحريرية أحسن تعبير لكن في عالم واحد هو عالم الريف، حتى كان الريف وحده هو الذي خاض الثورة وكأن المدينة ظلت طوال تلك الفترة نائمة وقد ظل هذا نقطة ضعف أدبنا،² كما ظل الريف فضاء ضاغطا حتى حين عرفت الجزائر جملة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومن الطبيعي أن تحاول الرواية فهم هذه المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كتب محمد ديب عن ريف تلمسان وعن الظلم الذي يعيشه سكانه وقدم مولود فرعون من خلال (ابن الفقير) (الأرض والدم) (الدروب الوعرة) الريف القبائلي للمتلقي فالكاتب هنا استطاع أن يخترق الفضاء الروائي ويمنح لأول مرة الكلمة للريفي كي يعبر عن حياة الشقاء التي يحياها.

عمل آخر اتخذ من الريف فضاء لأحداثه الجارية (الجازية والدرائش) لعبد الحميد هذوقة يؤرخ لمرحلة من تاريخ الجزائر الاشتراكية، ومن الجيل الذي ينتمي إليه ابن هذوقة يبرز الطاهر وطار بأعماله (اللاز) و(العشق والموت في زمن الحراشي) ورواية (اللاز) التي تدور أحداثها بإحدى القرى الجزائرية حول الثورة والإشكالات التي صاحبته.

(العشق والموت في زمن الحراشي) بطولتها مسندة لطالبات جامعات يشاركن في الثورة الزراعية كمتطوعات والرواية هي الكتاب الثاني من رواية (اللاز) وإذا كان الاهتمام بالريف قد عرف تراجعا لحساب المدينة فإننا وجدنا من الروائيين المنتمين بجيل الثمانينات من كتب

¹ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 277.

² عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 (د.ط) ص: 86.

عن ريفه محاولاً من خلاله تعرية الواقع وإن كان يشير به من أمال لم يكن غير سراب فقد بقي الحال كما كان عليه قبل الاستقلال، يمثل هؤلاء الروائي واسيني الأعرج في روايته (نوار اللوز) التي تحكي عن قرية وعبر مغامرات صالح بن عامر الزوفري في الحدود الجزائرية المغربية و"الترابندو" ويومياته في حي "البراريك".

هذه بعض الأعمال الروائية التي ركزت على الريف واتخذته فضاء لها من منظور الروائيين الجزائريين سواء الذين فرضت عليهم الظروف التعبير عنه بلغة أجنبية، أو الذين مارسوا هوية الكتابة باللغة إلام.

الفصل الثاني

تجليات البيئة الريفية في رواية لحن الموت

1- تجليات الابعاد الدلالية للريف :

1-1- البعد الرومانسي:

لم تدم سيطرة الكلاسيكية على الفن والأدب طويلا، خاصة بعد أن اعتقد الأدباء ألا سبيل لإنهاض الكلاسيكية من الانحطاط سوى بإطلاق العنان للإحساس الفردي، ليظهر ويعبر عما يشعر به صاحبه وبحسه غير أن هذا يتنافى مع عقلانية الأدب الكلاسيكي لذا باشر الأدباء بالبحث عن مذهب جديد يحقق لهم ذلك أي يفتح المجال أمام أحاسيسهم فاهتدوا للرومانسية، حيث وجدوا فيها اهتماما بالفرد ومشاعره ودعوة إلى الطبيعة والريف فظهرت في أدبهم في شكل من أشكالها:

ـ الطبيعة الصامتة والقرية الهادئة:

من هنا استطاعت الطبيعة أن تجمع جل الرومانسيين فتناولوها في أدبهم لكنها على الرغم من ذلك بدت الصورة عند كل منهم لا لاختلاف طريقتهم في التعبير عنها وتناولها فحسب، بل لأن كلا منهم كان يراها من خلال مزاجه وأخيلته وأحلامه وإحياءاته العقلية.¹ وبالنظر إلى الرواية العربية في الجزائر فإنها نشأت في أعقاب ظهورها في البلاد العربية وشكلت جزءا من مسيرة الرواية العربية تخضع لمؤثرات وتتأثر باتجاهات وتهتم بالمواضيع ومن الطبيعي إذن، أن تتأثر الرواية الجزائرية سوءا المكتوبة بالفرنسية أو المكتوبة بالعربية بالحركة الرومانسية فأما الأولى فإن كتابها إتخذوا من اللغة الفرنسية لغة تساعدهم على التعبير عن قيمهم وأفكارهم وتقاليدهم بدلا من أن تسلب منهم شخصيتهم وقيمهم كما أرادت لها فرنسا، وبدلا من أن تكون أداة لنشويه تلك القيم والتقاليد أصبحت معهم لغة قادرة على التعبير عن تلك الشخصية الجزائرية وعن القيم والتقاليد نفسها، لم تطرح أعمالهم التي أدانوا بها الاستعمار "كعلاقة متناقضة محكومة بالصراع الطبقي بل كعلاقة تفاوت اجتماعي بالمعنى الأخلاقي في الضيق هذا كله شكل الحقل التاريخي للوعي الرومانتيكي".²

¹ - يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1994، ص 37.

² - واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ص 200.

وموازاة مع ظهور تيارات أخرى ضل المذهب الرومانسي محافظا على وجوده وخاضعا لنفس النمطية الشكلية الفكرية "إذ وجد هذا التيار نفسه في نهاية خلف الركب الفكري ينادي بقضايا تشكل بالوجه الآخر لتخلق هذا التيار من حيث الجوهر".¹

ويذهب الدكتور عبد الله الركيبي إلى أن الرومانسية لم تكن مرحلة خاصة في القصة الجزائرية، حيث تزامن وجودها مع تيار الواقعية، حتى إذا اندلعت الثورة كانت السيطرة للمذهب الواقعي ويرى أن هناك نوعين من الرومانسية، النوع الأول يمكن أن نطلق عليه الرومانسية الهادئة المثالية وهي الحب العذري والنوع الثاني رومانسية حادة عنيفة أو مادية لأن البحث فيها عن المادي الصرف والرؤية فيها منغلقة مسرفة في الذاتية.²

والرومانسيون وإن كانوا يختلفون في معالجتهم لمسألة الحب غير أنهم ينطلقون من الرؤية نفسها والمحدودة التي لا تستطيع أن ترى أكثر من الوقائع الاجتماعية المجسدة أمامها "لم يعرف موضوع الحب اهتماما في الأدب الجزائري إلا بعد الاستقلال حيث قلما وجدنا جزائريا قبل ذلك دخل في مناقشة عميقة أو وصف مستفيض لعاطفة الحب".³ حتى من الذين تخرجوا من المدرسة الغربية فهذا مولود فرعون يقول: "إن غريزة ما يصعب علي تحديدها تقيدني في كل مرة أريد أن أتحدث فيها عن الحب".

إلى جانب هذا الخط العاطفي للرواية والذي يصبغ جانبا بالصبغة الرومانسية فإن مشاهد الطبيعة لعبت دورا مساعدا لتعزيز هذا الجانب (الجانب الرومانسي) حيث عمدت الكاتبة إلى ذكر المناظر الطبيعية التي تصور جمال القرية، وهذه المناظر الطبيعية في الرواية لم تكن مجرد وسيلة لإعطاء خلفية لحياة القرية البسيطة ولكنها لعبت دورا في إبراز أهمية الأرض والمكان "تناول شهاب باقة الورود وواصل خطواته المستغرقة رفقة باقته نحو

¹ - واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، مرجع سابق، ص 227

² - عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، (1830-1974) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د ط، 1967، ص 171.

³ - عائدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، تر محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982، ص 228

كرسيه. تلك الصخرة التي انفرد بها على مقربة من جرف الوادي ليجلس عليها والباقة بجانبه".¹

هذا إضافة إلى توظيف الرمز في الرواية فالورد هو الآخر رمز أو دلالة من دلالات الحب "أهلا بك تفضل ورود وأزهار جميلة

- صحيح أن زهر النرجس ليس موجودا بين هذه الورد إلا أنني قد اتخذت عهدا منذ سنوات ألا تفارق باقة النرجس عرستي أبدا إلى يومنا هذا

- لكنني لا أراها

- هي ليست متاحة للطلب فقد توارت تحت الورد لأنها لحبيبين تسلا إلى مشتلي وغرسا بذور النرجس بها ومن يومها بت أنفنن في باقتهما".²

أما الشخصية الرئيسية التي برزت بشكل واضح هي شخصية شهاب من خلال علاقته بسمراء، فرغم أن علاقتهما باءت بالفشل فقد ضل يكتب لها وعنهما في مذكراته التي استلمتها بعد وفاته.

رواية (لحن الموت) تتدرج ضمن الاتجاه الواقعي، غير أن سمة الرومانسية بارزة فيها إضافة إلى عنصر الطبيعة، فهي جميلة ومستقلة عن البشر فيلجئون إلى أحضانها يلتمسون الراحة فتضمهم إليها لتزيل عنهم المتاعب والآلام مثلما كان يفعل شهاب حيث كان يجد الراحة في مكان ما فيها.

إن طبيعة المجتمع الجزائري آنذاك لا تشجع على نمو وازدهار قصص الحب فهم في شغل عن مثل هذه العواطف والاشتغال بها فأمامهم ما هو أهم من ذلك إنها ضرورات العيش اليومية وربما بقي هناك وقت قد يكرسونه لمشاعر وأحاسيس كمالية مثل الحب.³

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، إيكوزيوم أفولاي للنشر والتوزيع والترجمة، سوق أهراس، الجزائر، ط1، 2018، ص16.

² - المرجع نفسه، ص 15.

³ - عابدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، المرجع السابق، ص 230.

يقول مولود فرعون متحدثاً عن المجتمع القبائلي: "إن ما يهم قبل كل شيء ليس الحب بل الحياة ،لأنها المشكلة الوحيدة وكل ما يتبقى يتوقف عليها.

فإذا كان هذا شأن بعض الكتاب فإن الأمر يختلف عند الآخرين الذين تربو على النهج الإصلاحى أمثال أحمد رضا حوحو وغيره الذين لم يجدوا حرجاً في الاهتمام بهذا الموضوع ،إضافة إلى عصرنا الحالى الذى يزخر بالكتابات عنه.

يظهر هذا الموضوع جلياً في رواية (لحن الموت) فإذا كان حب حمزة لنورة إستثناء لأن المشاعر ضلت حبيسة نفسيهما بسبب التقاليد الصارمة التي ترفض مثل هذه المشاعر "تتغير ملامح وجهها إلى فرح وسرور وهي ترى حبيبها حمزة الذي لم يخيب قلبها وأتى ليودعها....أغمضت عينيها تخيلت أنها ركضت نحوه ووقفت بجانبه وأخبرته أنها ستضل شاكراً له على الحب الذي قدمه لها".¹

من جهة أخرى هناك أناغيم التي كانت تحمل داخلها مشاعر حب لشهاب فقد رأت فيه الرجل المناسب الذي سيخرجها من الظلم والحرمان الذي تعيشه رفقة أخيها ووالدها.

1-2- البعد الاجتماعى:

صورت الكاتبة معاناة المجتمع الريفي والمرأة الريفية بصفة خاصة وما تعانيه من ظلم وحرمان وأخذ القرارات بدلا عنها ،هذا وقد تعددت المشاكل والصعوبات التي يواجهها أهل القرية فالقوي فيها ذا النفوذ يعيش فيها بسلام أما الضعيف الفقير فلا حيلة له بل قد ينتهي به الحال إلى قتله مثلما وقع مع إلياس "الشاب النقي الذي كان نورا زهت به القرية لثمانية عشر سنة وهو ينشر المحبة والألفة بين أهلها حتى أنه كان سببا في استعادة الوصال بين الكثير من العائلات التي انفصلت بعد تلك المجزرة التي حدثت في بيت الجد ولأن افقه كان نقياً جعل من حياته خطراً على الحكم الخلفي بالمنطقة. وجد في فجر أحد الأيام مذبحاً في قارعة الطريق لا يفصله عن الجامع إلا بعض الخطوات".²

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 27.

² - نفسه، ص 33.

فتعتبر القيم الاجتماعية أحد الأركان الأساسية لثقافة المجتمع فلا يمكن أن يكون هناك مجتمع دون أن تكون هناك منظومة من القيم الاجتماعية الموجهة لسلوك أعضائه والتي تحقق وحدة الفكر داخل المجتمع ويمكن أن نعرف القيم بأنها: "عبارة عن مجموعة من المعتقدات التي تمثل المقدمات الأساسية أو المحور الذي تبنى عليه مجموعة من الاتجاهات توجه الأشخاص نحو غايات، أو وسائل لتحقيقها، أو أنها أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص لأنهم يؤمنون بصحتها فالقيم تتضمن التفاصيل الإنسانية وقد تتكون القيم من حالات واقعية وإدراكية توجه السلوك، كما أنها قد تكون مكتسبة يتعلمها الفرد من خلال عمليات التطبيع الاجتماعي".¹

يهتم علم المجتمع الريفي بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي بالمناطق الريفية كما يمكن تعريفه أيضا بطريقة أكثر موضوعية بأنه الرؤية المحكمة الدقيقة لأنماط العلاقات الإنسانية الريفية المتباينة ومحاولة تفسيرها من خلال معرفة أسبابها ونتائجها.

يظهر صراع القيم بجلاء في تلك المجتمعات التي تتعرض للتغيير الاجتماعي السريع سواء بفعل من البرامج المختلفة للتنمية أو الاحتكاك الثقافي الحضري بثقافات مختلفة.

تلعب الفضاءات المفتوحة دورا بارزا في الرواية ومن أهم هذه الفضاءات المدينة والقرية، في هذه الرواية تظهر المدينة مكانا ثانويا جاءت صورتها باهتة كما لو أنها فقدت ارتباطها بالشخصيات فقد ذكرت المدينة في الرواية قليلا لأن أغلب شخصيات الرواية يعيشون في الريف "ها هي عائلة شهاب قد جمعت حاجاتها وقطعت تذاكر سفر لقريتهم".²

في المقابل يهيمن الفضاء القروي بحضوره المكثف حيث تنقلنا الكاتبة إلى تفاصيل الريف من طبيعة وأماكن إلى وصف الحالة الاجتماعية للسكان إضافة إلى ذكر تلك

¹ - محمد سيد أحمد غريب، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، 1984، ص 272

² - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 26-27.

العلاقات الأسرية المترابطة والتي غالبا ما تظهر في الريف عكس المدينة ،فكل من فيها منشغل بحياته واهتمامه ولا تجتمع العائلة إلا قليلا.

يظهر ذلك من خلال تفاصيل الحوار الذي يدور في عائلة شهاب والعلاقة التي تجمعهم بأهله وأخته خاصة

"أما شهاب فلم يقطع صمته إلا وهو ينظر لأخته مواسيا إياها مخففا عنها".¹

من جهة أخرى تظهر العلاقات الاجتماعية من خلال شخصية خليفة والذي دائما ما فاز بالانتخابات لعهدات عدة وعلاقته بالإمام فهو الآخر داعم له بغية الحفاظ على منصبه هذه العلاقة نسميها علاقة المصلحة، إضافة إلى علاقة شهاب برفاقه الجنود الذين عاهدوا أنفسهم بأن يقدموا حياتهم لأجل الوطن.

تتجسد القيم الإنسانية والأخلاقية بكل أبعادها بين سكان الريف ،ويظهر ذلك من خلال علاقات الحب والعلاقات الأسرية المترابطة إضافة إلى علاقة الصداقة بين نورة وأناغيم، وشهاب وسمية ،لكن في المقابل نجد علاقات المصلحة وكل أنواع الأطماع لأجل هدف سياسي أو الحصول على مصالح شخصية.

فقد تنوعت الرواية بمختلف العلاقات وجسدت لمختلف المظاهر الاجتماعية الموجودة في كل مجتمع من المجتمعات.

2- التشكيل الفني:

2-1- اللغة:

اللغة هي التفكير، وهي التخيل بل لعلها المعرفة نفسها ،إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة، فهو لا يفكر إلا داخلها أو بواسطتها ،فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه...الحب بدون لغة يكون بهيما، فالإنسان دون لغة سيتحول إلى كائن لا وجود له.² لعل جل النقاد والدارسين قد أجمعوا

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 27.

² - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المرجع السابق، ص 93.

على ضرورة تبني اللغة الفصحى في الحوار، لأنها اللغة التي يفهمها المثقفون العرب رغم أن قلة منهم يدعون إلى استعمال العامية بدعوى تقريب الشخصية من واقعها الحياتي.

ففي رواية (لحن الموت) يبدو المقطع الأدبي الذي يتصدر الرواية بمستوى لغوي فصيح أو أقرب للفصيح "كم هو قوي تيار الذاكرة حين يقودك دون هواده لمواقف ولت مع الزمن ويعيدها كما حدثت تماما. فقط باختلاف بسيط في تفاصيلها.¹

وعلى هذا المستوى تواصل الروائية نسج بقية روايتها.

تعد اللغة اللسان الناطق عن الرأي العام تعكس توجهاته وتعبر عن همومه، فقد ترد ممزوجة بين ما هو عامي وما هو فصيح فهي الأداة الأكثر استخداما في التعبير كونها هي الدليل المحسوس على أن ثمة رواية ما يمكن قرائتها، وبدون اللغة لا توجد الرواية أصلا كما لا يوجد فن أدبي.²

ويسعى الراوي إلى جعل المتلقي يعيش عالم الرواية فهو يعمل على إدماج القارئ في عالم الحكاية ومحاولة إقناعه. وتبرز هذه الوظيفة خاصة في الأدب الملتزم.³

2-2- الزمن:

يمثل الزمن العنصر الهام للنص السردي ويظهر جليا في إبراز العلاقة التي تربط حقيقة الأحداث والشخصيات وكذا الأمكنة، ونشير إلى أن الرواية من أكثر الفنون الأدبية تماشيا مع الزمن الذي يعتبر الدعامية الأساسية والعنصر المهم فيها.

لفظ الزمان مشتق معناه من (الأزمنة) لمعنى الإقامة ومنه اشتقت الزمانه لأنها حادثة عنه.⁴

وقد يكون الزمن من المفاهيم الكبرى التي حار العلماء والفلاسفة والرياضيون في الإجماع على تعريفها وما يذر الباب مشرعا لكل مجتهد وما يقترحه من تعريف ولكل مفكر

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 08.

² - آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 2016، ص35.

³ - فاتح عبد السلام، تريف السرد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص32.

⁴ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المرجع السابق، ص 172.

وما يتمثل له من تحديد...ولعل ذلك هو الذي حمل باسكال إلى الذهاب إلى أنه من المستحيل ومن غير المجدي أيضا تحديد مفهوم الزمن.¹

تنوعت أزمنة السرد في الرواية من الحاضر إلى المستقبل إضافة إلى ما فعلته سمراء بنفسها في الزمن الماضي الذي يتسم بجهلها لما سيحصل في المستقبل لنتقاد وراء شعورها اتجاه الزمن، نجد أيضا حضور الزمن الماضي من خلال استرجاع شهاب للأحداث من خلال تذكره لجلوسه مع سمراء "حبيبتي ها هي عشر سنوات تمضي على ألفتي بهذا المكان وهناك فرق شاسع بين أول سنة والسنوات الباقية فأنا لا زلت أتذكر أنه حينها لم يكن الوقت قد حان ل تمنعي انسدال شعرك على ظهري ورأسك على كتفي.²

هذا ونجد الاسترجاع للزمن الماضي يظهر من خلال مشاهدة الجدة لأناغم وهي ترتب البيت "جدتها كانت تراقبها بعيون مليئة بالذكريات وهي لا تنتظر لها بل لابنتها زهرة التي كانت تفعل نفس الشيء، حين تأتي غاضبة من خليفة والتي زوجت له قبل أن يتسنى لها أن تعيش سنوات نضجها الأولى مع والدتها لخدمتها.³

لقب لعب الماضي أيضا دورا في تشكيل شخصية شهاب لتكشف الرواية للقارئ خلفية هذه الشخصية والإطار الداخلي والخارجي الذي تتحرك فيه الأحداث أما الزمن الحاضر فيظهر من خلال الحوار الذي دار بين شهاب وصديقه سمية:

- أوجعت قلبي والله يا سمية

-ذلك هو القدر كما يقول هؤلاء الذين خذلتم شجاعتهم في الحفاظ على حبه.

-لكن معك همسة...واني أرى فيها الحلم الذي أردته.

-معك حق أخبرني عنك.⁴

¹ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المرجع السابق، ص 173.

² - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 16.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

⁴ - المرجع نفسه، ص 46.

وللاشارة فإن الحوار حاضر بقوة في الرواية ومثال على ذلك الحوار الذي دار بين شهاب وعائلته وهم في طريقهم لخطبة أناغيم:

- أمي أتعرفين ما يطمئن بالي؟.

- ماذا؟.

- وجود سمراء هناك.

- وما دخلها.

- سمراء تحب أناغيم كثيرا ولذلك ستجعل من زوجها سامي يقنع والده بالقبول بارتباطها بشهاب... يقال أنها تخلت عن الذي أحبها

- ما هذا الكلام يا نورة إستحي على نفسك

- أسفة أبي

- المال يا أختي يجعلك تتخلي عن روحك حتى تكلمت أخيرا يا شهاب.¹

أما الحديث عن زمن المستقبل في الرواية فتتمثل في نصيحة سمراء لسمية وأخذ العبرة مما وقع لها " في كل الذي حصل معي ،درس علميه لابنتك كما أحرص على تعليمه لبناتي أنه ومهما وصل العشق ذروته فلا يمكن مصارعة كبرياء رجل حين يقرر رفس قلبه انتصارا لها.²

يتمثل زمن المستقبل أيضا في حديث أناغيم أثناء أدائها للعمل المسرحي: "سأكون جنديا يتجول بين ركام الدمار وحين أجد فصيلة شجرة زيتون أرويهها بعطشي لتنمو...وأن أمضي في الرصيف فأجد دمية مبتورة الذراع فأعيدها للطفلة ... وبجانبها سأجد محفظة ... فأجد دفترًا ... وبداخلها أجد طاولة مكسورة وأجعل الطفلة تجلس برفق ليلوح بصرها إلى

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 21-22.

² - المرجع نفسه، ص 57.

السيورة وتبدأ في قراءة عبارة متأكدة أن من كتبها هو أخوها المعلم "وطني لا زال هناك أمل".¹

يمكننا القول بأن الروائية نوعت بين الأزمنة فنجد الزمن الماضي حاضر بكثرة إضافة إلى الزمن الحاضر من خلال الوصف والحوار، والزمن المستقبل ويكون ذلك بالآمال المستقبلية أو النصائح مثلما قدمت سمراء لسمية إضافة إلى الاسترجاع والذي كان حاضر بقوة والذي غالبا ما يكون ذا قيمة فاعلة في تحديد حركة الشخص

كان بالإمكان سرد أحداث هذه الرواية وفق النمط التقليدي حيث تبدأ الروائية بسرد الأحداث من بدايتها حتى نهايتها فلماذا اختارت قلب هذا التسلسل والبدء من وسط المتن الحكائي؟

- أنا آسف ...أنا آسف

- لا بأس ...لا بأس

وقد كانت تجمع أشياءها المتعلقة بالرسم في ارتباك وخجل دون أن تنتبه حتى لمن قد اصطدمت به".²

إن تفسير ذلك يستوجب الاعتماد على فكرة الرمزية التي تتميز بها الرواية، فهي رواية جزائرية تحكي عن الواقع الجزائري، فهو ليس وليد الحاضر هو وليد الحاضر والماضي معا ومن هنا يمكن للروائي أن يبتدئ من نقطة ما في العمل ويقوم بالاسترجاع ليعود من جديد إلى النقطة ذاتها كما يصنف الزمن السرد في رواية (لحن الموت) ضمن النسق الزمني المتصاعد فقد استغلت السلوك السرد في عرض الأحداث التي وقعت مما استوجب ترتيبها "حين وصولهم للمحطة وجدوا أن الحافلة على وشك الإنطاق، فركبت نورة

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص 08.

ووالدتها بينما بقي شهاب حتى يتأكد من ترتيب الحقائق في صندوق الحافلة...ولأنه بمجرد أن صعد يبحث عن مقعده لاح ببصره لأخته ووالدته.¹

2-3- المكان:

من المسميات التي تطرح نفسها بقوة على الساحة النقدية للسرديات بعامة والرواية بخاصة مسمى الفضاء الروائي " والدراسات التي أقيمت حول الموضوع هي اجتهادات متفرقة لها قيمتها ،ويمكن إذ هي تراكمت أن تساعد على بقاء تصور متكامل".² والقضية الأساسية التي تتصل بالفضاء الروائي هي قضية تحديد المفهوم فقد شغل مصطلح المكان اهتمام الكثير من النقاد والمفكرين وتعددت تسميته حسب وجهة نظر كل ناقد من فضاء وحيز. ويمكن القول بأن الحيز والمكان والفضاء مفاهيم امتزجت في بعض الأحيان وتعارضت في أحيان أخرى، وبما أن للمكان دور كبير في الرواية فسننظر إليه بداية بتحديد مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

المفهوم اللغوي للمكان:

لفظ المكان له معاني ودلالات متقاربة تصب في قالب واحد على أن المكان هو الموضع، ففي لسان العرب لابن منظور وردت تحت مادة (كون): الكون: ال حدث...تقول العرب لمن تشنؤه: لا كان ولا تكون ،لا كان: لا خلق، ولا تكون: لا تحرك أي مات ، والكائنة: الأمر الحادث، وكونه فتكون أ حدثه ف حدث.³

ويقول ابن منظور تحت مادة (مكن): المكان: الموضع والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع.⁴

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 27-28.

² - حميد الحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، 1991، ص 53.

³ - ابن منظور لسان العرب، المرجع السابق، المجلد 13، ص 133.

⁴ - المصدر نفسه، المجلد 14، ص 113.

أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة " المكان " كثيرا فجاءت حاملة معنى " الموضع " قال تعالى: { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا }¹ وأيضا قوله تعالى: {ولو نشاء لمسخناهم عن مكانهم}.²

أما اصطلاحا فقد اختلف النقاد في وضع مفهوم محدد للمكان فمنهم من رأى بأن له علاقة بالخيال ومن بينهم غاستون باشلار في قوله: "المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يضل مكانا محايدا خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي ،لقد عيش فيه لا بشكل وضعي بل لكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم وذلك لأنه يركز الوجود في حدود حتمية".³

كان حظ المكان من الدراسة النقدية المعمقة مع ظهور كتاب غاستون باشلار (جماليات المكان) الذي أصبح المصدر الرئيسي لكل دراسة تعنى بالمكان في النص الأدبي وهذا مقدم الكتاب للعالم العربي "غالب هلسا" يقول: "ما كنت أفهمه من مصطلح المكانية قبل قرائتي لهذا الكتاب هو المكان الأليف...وعندما قرأته تبين أن المكانية تذهب لأبعد من ذلك...إنها تتصل بجوهر العمل الفني ،أعني به الصورة الفنية".⁴

أما بالنسبة للمكان الروائي فنجد حسن بحراوي يقول: "إن المكان الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسارد كالشخصيات والأحداث".⁵

¹ - القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 15، ص 306.

² - القرآن الكريم، سورة يس، الآية 67، ص 444.

³ - غاستون باشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 31.

⁴ - المرجع نفسه، ص 06.

⁵ - تجليات المكان في رواية "أشباح المدينة المقتولة" مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إعداد كريمة سمار، إشراف شاكرا لقمان، جامعة ام البواقي، 2013_2014، ص 35.

هذا ما سنتطرق إليه في الرواية، فالمكان يعتبر من القضايا التي تطرح نفسها بقوة، فلا يمكن فلا يمكن لمؤلف أن يؤلف في اللامكان فهو لا بد أن "يقدم ادنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل نقطة الانطلاق من أجل تحريك خيال القارئ".¹

اقتصرت الحيز المكاني للرواية على مستوى القرية ولم تتجاوز إلى أمكنة أخرى بل حددتها الكاتبة في إطار معين تجسد داخل المضمون الحكائي تمثل في أمكنة معينة من بينها الجامع البلدية، الشارع، والبيت ويتجسد عادة في مكان تجسد العائلة .

ترتكز أحداث الرواية في إحدى القرى الجزائرية ،وقد لجأت الكاتبة إلى استخدام أمكنة حقيقية تمثلت في القرية، الحوش، الصخرة وهي على مقربة من جرف الوادي ،حيث صورت لنا كل ما تتميز به القرية التي تعيش فيها شخصيات الرواية التي أدت دورا فعالا في انسجام أحداث النص وتفاعلها مع الواقع.

لقد أعطت الكاتبة وصفا للقرية ليرتسم في أذهاننا صورت البيوت الجزائرية ،وبما أن أحداث الرواية دارت في الريف فقد إقتصرتنا على المكان ذو الدلالة الريفية ونذكر:

1- الحوش: تقول الكاتبة : " الجدة بعد أن جلست على حصير بالحوش"²، وهي تلاحظ أناغيم كيف تتظف البيت وهي ترى فيها ابنتها زهرة عندما كانت تأتي إليها غاضبة من خليفة، مكان آخر ذكر في الرواية وهو .

2- الجبل: "خرج راكضا إلى العدم وعلى أعلى جبل بالقرية خذلته قدماه" وكان هذا بعد أن زوج خليفة ابنته لمن اختاره هو، وذكرت لفضة الجبل أيضا للدلالة على مكان تواجد أصدقاء شهاب الجنود "أصدقائه في الجبل كانوا مع موعد مع الموت ،يغبطونه سرا وعلانية لأنه غاب عنهم هذه المرة".³

¹ - حميد الحميداني، بنية النص السردي، المرجع السابق، ص 53.

² - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 35.

³ المرجع نفسه، ص 42

3- الصخرة: صخرة من مقربة على جرف الوادي "يواصل شهاب خطواته المستغرية رفقة باقته نحو كرسيه، تلك الصخرة التي انفرد بها ليجلس عليها وباقة الورد بجانبه "كان هذا المكان أنيس شهاب فقد مضت عشر سنوات على ألفته به.

4- البيت: أما البيت في الرواية فيشمل فضاء الإقامة والانتقال الذي يتصل بصورة مباشرة بحركة الشخوص وسكونها وذكرت لفظة البيت في الرواية في مواضع مختلفة كبيت الجدة، وبيت عائلة شهاب، وبيت خليفة وقد خضع وصف البيت في الرواية إلى انتقائية منظور الروائية فقد وجه الوصف لخدمة تصوراتها ونظرتها الخاصة، الهادفة إلى تشييد الفكرة، فنحن لا نجد وصفا دقيقا للبيوت، ويمكن الإشارة إلى أن الجبل والصخرة هما أمكنة مفتوحة وهو الإطار الذي تنتقل فيه الشخصيات أما المكان المغلق فهو مكان إقامتها كالبيت.

5- الجامع: يتخذ في الواقع شكل مكان للعبادة لكنه في الرواية يمثل "نقطة قوة لدعم الحملات الانتخابية وثبوت الإمام في منصبه طيلة سنوات وعدم تواصله مع الناس إلا في مثل هذه الأوقات"¹ دليل على ذلك، يقول عمر: "حسنا سأنصرف الآن سيدي ،لا بد وأن لك عملا مع خليفة في حملته الانتخابية ويضيف قائلا: "أتعرف يا خليفة ما الجميل في حملتك الانتخابية هو دعمك لإعلاء كلمة الجامع والحركة الدينية بالبلدية تبارك الله ... وحتما أنه سيكون بالقريّة قاعدة صلبة للقضاء على أي محاولة للتجمعات الإرهابية وأنصرف عمر تاركا الاثنين في حالة استفزازية"² فهو يشك في مصداقية الإمام وتعاملاته.

مكان آخر ذكر في الرواية هو

6- الثكنة العسكرية: "ها هي صفارات الإنذار تدوي فتتشط مسامعي، فتخرجني من أحلام اليقظة صوب واقعي المعاش ،في هذه الثكنة التي اتخذت من إحدى الجبال المعانقة للسحاب قلاعا".³

¹ - عيلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 66.

إضافة إلى هذه الأماكن هناك أماكن أخرى ذكرت في الرواية كمعهد الفنون الجميلة والمدرسة ومكتبة المدينة وغيرها فالمكان هو أرض خصبة تبنى عليه أحداث الرواية وذلك من خلال نقل الأحداث وتصوير الحالات ، لذا فهو من أهم المظاهر الجمالية في الرواية العربية وعنصر بارز فهو يعد من أهم المقومات الأساسية التي تبنى عليها الرواية ومن دونها لا يكتمل العمل الروائي.

2-4- الشخصيات:

تعد الشخصية بنية قاعدية في العمل الروائي وهي التي تنتج الأحداث كونها العنصر الحيوي الذي يعرف عنصر المعاشية، وعليه انشغل الدارسون في البحث عن كينونة هذه البنية.

-تعريف الشخصية:

هي كل مشارك في أحداث الرواية ،سلبا وإيجابا أما من لا يشارك في ال حدث فلا ينتمي الى الشخصيات ،بل يكون جزءا من الوصف .الشخصية عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها ،وينقل أفكارها وأقوالها والأدوار في الرواية متعددة فالشخصية تكون رئيسية أو ثانوية أو صورية حاضرة أو غائبة متطورة أو جامدة متماسكة أو غير متماسكة ؛مسطحة أو ممثلة.¹

يعرفها فيليب هامون بقوله: "هي تركيب يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النص" ؛أما رولان بارت فيقول "هي نتاج عمل تألفي" وهي عند أودين موبير "العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى، أشبه ما تكون للقلب النابض للسرد"

وبصيغة موجزة ورؤيا جامعة لما ذكر آنفا فالشخصية هي كما أورد روجرب هينكل: هي مجموعة متماسكة من الإيحاءات الموفقة بسطت الشخصية نفوذها على أقلام الأدباء والنقاد لأنها المفتاح الذي يفتح به الروائي أبواب نصوصه، والتي من خلالها يعكس المبدع صورة مجتمعه وواقعه، فالروائي يلجأ للشخصية ليصور وجهة نظره في مجتمع معين ،بجميع

¹ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية ،مكتبة لبنان،بيروت،ط2002،1،ص113.114

النواحي التي تحيط به بدافع تشخيص الأبعاد الداخلية والخارجية لهذه الشخصية التي تعيش أحداث الرواية ،ومن خلال تحليلنا لرواية (لحن الموت) لاحظنا وجود عدد كبير من الشخصيات التي لعبت دورا كبيرا في تتابع الأحداث وسيرها وسنشير أولا إلى علاقات الشخصيات في هذه الرواية:

1- شهاب ← سمراء (حب)

2- سمراء ← أناغيم (تعاطف)

3- خليفة ← عمر (تكبر)

4- سامي ← شهاب (كره)

5- عمر ← شهاب (مسايرة)

3- ملامح الشخصية الريفية:

سنحاول تحديد ملامح الشخصية الريفية وللإشارة فإن هذه الرواية كغيرها من الروايات تحتوي على شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية ساهمت في تساير الأحداث وتتابعها بمختلف أفكارها وفناتها العمرية وانتمائها إلى المجتمع وسنركز في هذه الرواية على النماذج الريفية:

أ- الرجل الريفي.

ب- المرأة الريفية.

ج- الجماعة الريفية.

3-1- الرجل الريفي:

تهيمن سلطة الرجل وتتحكم في مسارات الحياة كلها في المجتمع الريفي ،فالتكوين الاجتماعي ذكوري السمات ،ومن ثم فإن من الطبيعي أن يحتل الرجل الريفي مساحة كبيرة في الروايات ¹ فهو يشكل غالبا النموذج الروائي الذي تدور حوله أحداث الرواية ، وشخصية طاغية على غيره من الموضوعات الريفية وتتجسد فيه جميع الخصال من بساطة الروح

¹ - فاتح عبد السلام، تزييف السرد، المرجع السابق، ص 32.

والإنسانية النقية على الرغم من اشتداد عوامل البيئة والزمان إضافة إلى الأفكار والمبادئ والعادات المستمدة من الأجداد.

تتركز الرواية على شخصية من الشخصيات وهو شهاب حيث يتميز بالبساطة والنقاء وحبه للوطن "ها هو ابن العشر سنوات يعتلي المنصة ليتوج بتفوقه في دراسته وفي رياضة كرة اليد، والأهم لديه تتويجه بالمرتبة الأولى على مستوى الوطن لأجمل لوحة فنية تعبر عن جمال وروعة الوطن".¹

وتظهر شخصية شهاب أكثر من خلال علاقته بأناغيم فهو قرر ألا يخذلها " لكن المسألة باتت مسألة ثقة منحتها لي أناغيم".²

من جهة أخرى كان الاهتمام واضحا بسبب ظروف الواقع المعيشي على تكوين ملامح الرجل الريفي (شهاب) الذي تعاني عائلته الفقر فقرّر أن يلتحق بالجيش ليعيل أهله على أعباء الحياة "ابني لم يلتحق بوظيفتك التي تصدقت عليه بها فهو أكبر منها. وهو الآن جندي بالجيش منذ سنتين وأنت تعلم ذلك تحتل شخصية شهاب مساحة كبيرة في هاته الرواية فهو يشكل غالبا النموذج الروائي الذي تدور حوله الأحداث وهو شخصية قوية الحضور محب فقد عاش وترعرع وسط عائلته مع أبيه وأخته وزوجة أبيه أما والدته فقد توفيت فقد عاش محروما من حنانها وكان دائما ما يحمل أبيه ذنب وفاة أمه فبينما كانت مريضة كان والده يحتفل بمجيء مولوده من زوجته الأخرى "لا أضن أنك ستقبل أن أخذل امرأة كما فعلت بوالدتي".³

وجانب من شخصيته أيضا هو حبه لسمراء ذلك الحب الذي ظل حبيس قلبه منذ أن رآها مع سامي ابن خليفة وأصبح يعبر عما في داخله لمذكراته "أتذكر كذلك عشقك لدخان

¹ - عيلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 08.

² - المرجع نفسه، ص 21.

³ - المرجع نفسه، ص 21.

السجائر وهو يكشف أنفاسي...أشتاق وجودك مع أن شريط حياتك مواز لشريط حياتي، أنا أصارع الموت كل ثانية لأجل أن ينام هذا الوطن قرير العين".¹

شخصية أخرى ساهمت في تطور أحداث الرواية هو:

- **خليفة** : الرجل الريفي ذو الهيبة والنفوذ فقد كان دائما يريح في الانتخابات طوال عهده وما كان يساعده في ذلك هي أياد خفية لها مصلحة في ذلك "سأنصرف الآن سيدي الإمام لا بد وأن لك عملا مع خليفة في حملته الانتخابية".²

وتشير الرواية إلى أن خليفة يمثل الأب القاسي الذي يزوج بناته في سن مبكر وعدم الأخذ برأيهم في ذلك ،بل يزوجه لمن يراه هو مناسب لهم من ناحية المال والسلطة ولا ينظر في الجوانب وغيرها "قوالدها مصرّ على تزويجها بإبراهيم الذي يعرف الجميع أنه لم يأخذ من الدين إلا سنة التقصير".³

كما تحرص الروائية على الإحاطة بتكوين شخصية الرجل الريفي إحاطة كاملة من خلال وصف تفاصيل عنها فقد ذكرت:

- **سامي**: ابن خليفة وهو نسخة من والده من خلال كرهه لعائلة شهاب فهو شخصية تعكس السيطرة على المرأة "تفاجئت سمراء بصفعة على خدها من سامي "ويقول أيضا" تلك الساقطة حسابها عندي فيما سأ حدّث أبي وهم سينصرفون إن كانت لهم كرامة".⁴

- **عمر**: هو والد شهاب الذي يعيل الأسرة ويتحمل كل أعبائها ومشاكلها ،رجل محب لأبنائه يسعى لإرضائهم فبرغم من أنه يعلم بتكبر خليفة إلا أنه ذهب إليه وطلب تزويج ابنه لأنغاميم "قطع عمر الاتصال لتعود به الذاكرة إلى جلسته مع خليفة الذي رضي بمجالسته على مضض، فقط لأن المكان عام ،وهو مرشح للانتخابات البلدية وعليه أن يكتسب شعبية".⁵

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 16.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 33.

⁴ - المرجع نفسه، ص 24.

⁵ - المرجع نفسه، ص 11.

هناك شخصيات ذكورية أخرى منهم إبراهيم الشاب الغني الذي تزوج بأناغيم إضافة إلى إلياس وكريم زوج زميلة شهاب في الدراسة والإمام الذي يسعى لإعلاء صوت الحق لكنه في الحقيقة داعم لحزب سياسي من أجل الحفاظ على منصبه في القرية "كن الحقائق التي ت حدث في القرية منذ سنوات ووجود الإمام في مثل هذه الحملات الانتخابية لصالح خليفة طيلة العهود الثلاث الماضية والتي كانت من قبل لعمه الذي هاجر إلى فرنسا بعد أن كوّن ثروته على ظهر البلدية".¹

هناك أيضا شخصية شهاب الصغير الذي تدرب عند شهاب القائد وكان هو ضمن آخر فوج سيدربه سعى لحمايته في آخر مواجهة له وشاءت الأقدار أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي ابنه الصغير نعم كان شهاب الصغير ابنه وابن سمراء الذي شكك في نسبه له ما جعله يترك سمراء "كانت تلك السنة الأخيرة في عهدة شهاب بالجيش وذلك هو الفوج الأخير من المتدربين الذين سيشرف على تدريبهم حارصا بأن يكون شهاب ابن سمراء من المجموعة التي يختارها"²

3-2- المرأة الريفية:

نجد في الرواية الكثير من الشخصيات الأنثوية، التي مثلت دور المرأة في الريف أحسن تمثيل، الذي له من شخصيتها الشيء الكثير بعوامله الاقتصادية والاجتماعية. -أناغيم: ابنة خليفة وأخت سامي البنت المحبة لوطنها ويظهر ذلك من خلال العرض المسرحي الذي قدمته "أبي...أمي...سيدي المدير...معلمي...أصدقائي...أنا أناغيم جنديّة سبلت نفسها لأجل الوطن لتعلمهم فنون حقن الدماء".³

¹ - عيلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 13-14.

² - المرجع نفسه، ص 48.

³ - المرجع نفسه، ص 09.

هي شخصية حاملة رأيت في شهاب الرجل الذي سيخرجها من الظلم الذي تعيشه مع والدها حيث رأيت فيه المكافحة والإصرار "يده نظيفة من كل الشبهات... رجل تعني كلمته الكثير فلا يتراجع -وأوضاعه.

-أتقصد الفقر... لأجلي تخلى عن دراسته وتجنّد بالجيش ،ألا يكفي ذلك".¹
لكن مع معرفتها بعلاقة شهاب وسمراء السابقة تقرر القبول بإبراهيم وموافقة والدها عليه بعد أن كان عرسها مع شهاب قريب "للتحول بذلك إلى الشخصية المتعددة الأبعاد ويصعب التنبؤ بما تفعله، تكون في الوقت نفسه قادرة على سلوك مقنع ومفاجئ".²
تظهر موافقتها من خلال الحوار الذي دار بينها وبين والدها : "أناغيم يا ابنة أمك... سكت ذلك اليوم على هربك لأجل الانتخابات وليس محبة فيك ... في الخميس ستكونين في بيت الزوج الذي اخترته لك ، فيكفي أي صبرت على ذلك لهذه السنوات.
-أريد أن أقول أنني موافقة وكنت أنتظر عودتك منذ ساعات لأخبرك بذلك
-نظر الوالد لابنته بدهشة غريب ،دون أن يترك للأبوة مجالا لتفكر ما الذي جعل أناغيم تقرر ذلك".³

- سمراء:

زوجة سامي هي مثال للبنات التي تحدث الظروف من أجل الدراسة في الجامعة ، والبنات التي وقعت ضحية للحب مع رجل تملص من مسؤولياته وشكك في نسب الابن له "لم أقدر على إذلال نفسي أكثر ،وأنا أتذكر أبي الذي راهن على قدرتي في حماية شرفي ، يوم وقف كل رجال العائلة ضده في فكرة تدريسي بالجامعة".⁴

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 36

² - جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة ، ط01، الجزيرة، القاهرة، 2003، ص202

³ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 40

⁴ - المرجع نفسه، ص 56

-سمية:

زميلة شهاب في الدراسة وهي التي ترك شهاب عندها أمانته المتمثلة في مذكراته بعد أن تجاذبا أطراف الحديث.

-عيشة:

زوجة عمر هي زوجة الأب. التي فضلها على أم شهاب وهي صامته على أفعال هذا الأخير لأنه هو من يساعد في مصاريف المنزل، "تكلت أخيرا يا شهاب...ولا تنسي الراتب الذي لأجله تتحملين حماقتي".¹

- الجدة :

تمثل المرأة التي لا قوة لها ،الخاضعة لسلطة الرجل المتمسكة بالعادات القديمة الخائفة من قرارات الرجل حيث تكلم أناغيم وتقنعها بالزواج من إبراهيم لكي لا يزوجها والدها من شيخ إن رفضت هذا "آه جدتي ..لماذا كل القرية مرتبطة بكلمة أبي، هل سيخلد؟ -تزوجي إبراهيم على الأقل ستسلمين من زواجك برجل قد يكون أكبر سنا من والدك".² إن هذا التشكيل هو جزء من المعانات والقسوة التي تطبع حياة المرأة الريفية كما سعت الروائية إلى إظهار جمال المرأة الريفية "في هذه اللحظة أطلت عليهم امرأة متحجبة مشرق وجهها كضوء القمر بجسد مصقول لم تتجح تموجات الفستان الأحمر في إخفائه ،فضل يشي بأنوثه أزلية".³

وقد ذكرت في الرواية شخصيات أخرى : كزهرة والدة أناغيم "وكأنك والدتك ،كأنني أرى الآن ابنتي حين يؤذيها والدك تفعل نفس الشيء ،وتقول نفس الكلام"⁴

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 22.

² - المرجع نفسه، ص 35.

³ - المرجع نفسه، ص 22.

⁴ - المرجع نفسه، ص 35.

إضافة إلى شخصية نورة أخت شهاب "أناغيم وهي تجالس صديقتها نورة وتحاكيها عن أوجاعها التي يتسبب فيها والدها".¹

لقد حاولت الروائية الكشف عن ملامح المرأة الريفية فلم تتعامل معها منفصلة عن المجتمع بل حالة إنسانية مرافقة للرجل ولقانونه فكانت عاملا مضيئا لأجزاء مهمة في الحياة الاجتماعية.

3-3- الجماعة الريفية:

كانت الجماعة الريفية حاضرة فعلا وسلوكا متمثلة في الجنود أصدقاء شهاب الذين يملكون إرادة قوية وإصرار على تغيير الواقع للأحسن متمثلة في محاربتهم للمستعمر متضامنين فيما بينهم وفاء للوطن "جثا شهاب الصغير ليجعل من فخذة وسادة لسيده ،الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة والجنود يجتمعون حوله الواحد تلو الآخر".²

تظهر الجماعة أيضا للدلالة على السذاجة والبساطة متمثلة في بعض الأشخاص الذين كانوا بجوار خليفة وعمر أثناء حديثهم "أي ولدين وأي أمر تقصد ؟...أم تذكرت تقصد رهن سيارتك

-بكل حرص يجتهد لأجل أن يسمعه الحاضرون.

-يا سيد خليفة لم ترفع صوتك وأنت تعرف أنني والحمد لله قد فككت الرهن بفضل ابني شهاب".³

وهكذا إذن تكون الجماعة الريفية حاضرة في الرواية لتمثل تجسيدا للفعل الإنساني.

¹ - عبلة قدوار، لحن الموت، مصدر سابق، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 51-52.

³ - المرجع نفسه، ص 11-12.

الخاتمة

خاتمة

كانت الرواية الجزائرية ولا تزال حقلا ثريا تتفجر فيه أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل ومصدر يعج بشتى الصور والرموز الدلالية المعبرة عن خصوصية ثقافية وحضارية ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.

- حضور الريف وقضاياها بشكل لافت للانتباه في الروايات العربية والشعر العربي وعند أهل الاجتماع. حاولت الرواية أن تقدم صورة عن الريف الجزائري، فإذا به يبدو سلبيا مضطهدا للإنسان البسيط، قاتلا للأمل .

- تجمع الرواية على أن الفقر كان وراء إقدام الشخصيات على المغامرة من أجل تحسين وضعياتها والخروج من دائرة العوز والظلم، كـ"شهاب" التجنيد بالجيش، التضحية، كما تجلت صورة المرأة في مضمون الرواية كعنصر متفاعل في عديد الجوانب الاجتماعية والسلوكية كما قدمت الروائية "المرأة" وهي تقابل مصيرها المحتوم من دون إرادة منها، فكانت استجابتها لهذا المصير أكبر بكثير من استطاعتها اتخاذ القرار. هي عالم لا تتعدى حدوده الوحدة الكلية للمجتمع، يمارس عليها الرجل سلطته بكل امتلاك.

- كانت الجماعة الريفية حاضرة في هذه الرواية فعلا وسلوكا وظهرت بعدة مظاهر: المظهر الأول برزت فيه كقوة منتفضة وإرادة قوية وإصرار على تغيير الواقع والحفاظ على الوطن في سيرة كفاح (الجنود)، في حين كانت الجماعة في المظهر الثاني مسلوية بالإرادة أو محكومة بتأثيرات خارجية (سكان القرية).

- نجد تركيز الروائية على الشخصيات أكثر من تركيزها على وصف المكان والزمان والدليل على ذلك تعدد الشخصيات وذكر أهم أوصافها المختلفة .

- بروز البعد الاجتماعي في الرواية على غرار الأبعاد الأخرى والمتمثل في العادات والتقاليد التي يتميز بها سكان الريف

وفي الأخير نأمل أن يكون بحثنا هذا في مستوى طموحنا، ونرجو أن نكون قد وفقنا

الملحق

ملخص الرواية

عن دار إيكوزيوم أفلاي للنشر والتوزيع والترجمة صدرت رواية (لحن الموت) للروائية عبلة قدوار، في بداية الرواية نجد عنوان "على إيقاع أول دروس الخذلان" وهو عنوان يشير لعديد الدلالات التي تتضح فيما بعد في نص الرواية

تدور أحداث الرواية حول علاقة الشاب الجندي شهاب بأناغيم، هذه العلاقة الضاربة في جذور العمر أيام الدراسة في مراحلها الأولى، حيث ترك شهاب الدراسة بحثا عن عمل والتحق بصفوف الجيش وبالرغم من حصوله على وظيفة إلا أن خليفة قد أهانه وأهان عائلته برفضه حين تقدم لخطبة أناغيم، لكن خليفة تراجع وقبل بالخطوبة كونه في أيامه الحاسمة لحملته الانتخابية، وهو القوة العظمى التي سيطرت على البلدية طيلة ثلاث عهديات لكن بعد أيام من فوزه نادى ابنته ليخبرها بأنه سيزوجها من الشخص الذي اختاره هو، وهنا يقع الخبر كالصاعقة على شهاب العائد لتوه في عطلة من عمله ليحضر لزفافه الذي لم يبق له إلا اسبوع، تزوجت أناغيم وعاد هو إلى الثكنة ولم يعد يزور أهله إلا نادرا .

تمر السنين ويكبر شهاب ابن سامي وسمراء ويتدرب عند شهاب الكبير، وفي اشتباك مع الإرهاب يسقط شهاب الكبير إثر إصابته وهو يحتضن شهاب الصغير ويقول له: هل أنت بخير ولدي؟ نعم شهاب في الحقيقة كان ابنه الذي حملت به سمراء قبل زواجها من سامي شهاب اذا لا يعدو أن يكون إلا صورة مطابقة لذكورية ذلك المجتمع، وهنا تنتهي الرواية التي تحمل في طياتها عديد المعاني الصادقة، من علاقة الأهل إلى الصداقة والحب والوطن "أصبحنا رفقة الرشاش والبنادق والقنابل وغيرها سواء لهدف واحد هو الوطن"

التعريف بالروائية:

نبذة عن حياة الكاتبة عبلة قدوار:

ولدت عبلة قدوار في 20-06-1986 بعين الملح ولاية المسيلة تلقت تعليمها الابتدائي بمدرسة مجدل مسعود بقرية عين فارس ،وواصلت تعليمها إلى أن تخرجت من كلية الأدب العربي سنة 2010 بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، بدأت أعمالها في الظهور حين صدرت لها رواية "قصة حياة في طي النسيان" كما أن لها مؤلفات أخرى من بينها "اعتراف موجة" رواية صدرت إلكترونيا بدار حروف منثورة ،ورواية "بقعة الدواليك" رواية منشورة إلكترونيا ،ورواية "لحن الموت" صدرت سنة 2018 والتي خصصناها بالدراسة، أما عن فعاليتها الثقافية والأدبية فقد ساهمت في نشاطات الجامعة أثناء الدراسة ومجلة "أنيس الطالبة"

تضل "عبلة" وجها من وجوه الرواية الجزائرية ،حيث عالجت العديد من القضايا ومآسي وآمال الشعب ،ومن بين الموضوعات التي تطرقت إليها نجد موضوع المرأة والأرض والمجتمع والهجرة والمستقبل وكل قضايا الحياة وهذه الموضوعات هي نقاط تأزم وصراع في حياتنا الاجتماعية ،وما يلاحظ في أعمالها هي تواصلها مع محيطها الاجتماعي وسعيها لأن تكون وفية لحسها الحضاري والفكري ،وبالرغم من أن أعمالها بدأت في الظهور مؤخرا إلا أنها لاقت صدى كبير بين أوساط المجتمع وقد أخذت كل أعمالها بالدراسة والتحليل .لقد جعلت من الواقع لغة تساعدنا على التعبير عن أفكارها حيث نقلت لنا صور حقيقية لحياة واقعية وركزت على معاناة الشعب وقدمت لنا تفاصيل عن مجتمع أهل الريف.

أجمل ما جاء في الرواية :

"وطني لا زال هناك أمل"

"القدر لا يفكر كما يفكر الحب"



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الحديث النبوي الشريف

أولا: المصادر

- رواية لحن الموت، إيكوزيوم أفولاي للنشر والتوزيع والترجمة، سوق أهراس ، الجزائر، ط1، 2018.

ثانيا: المراجع

1- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

2- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015.

3- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم، دار العلم، بيروت، لبنان، ط6، 1982.

4- الحبيب الجحاني، ابن خلدون والفكر العربي المعاصر، دار العربية للكتاب، دط، 1908.

5- حميد الحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

6- خالد كبير علال ،أخطاء ابن خلدون في كتابة المقدمة، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2005.

7- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت.

8- السعيد بيومي الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 1998.

9- صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الجزائر، دط، دت.

- 10- عايدة أديب بامية ،تطور الأدب القصصي الجزائري(1925-1967)،تر،أحمد صقر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دط،1982.
- 11- عبد الحميد بوقصاص،النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري،ديوان المطبوعات الجزائرية ،دط،دت.
- 12- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- 13- عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط،1993.
- 14- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث،(1830-1974)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،دط،1967.
- 15- عبد المجيد السملالوي، الوجيز في قانون البيئة.
- 16- عبد المعطي حجازي، مدينة بلا قلب،ج2،دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
- 17- عبد الملك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1968.
- 18- عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،دط،1980.
- 19- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1998.
- 20- عمر بن قينة، الريف والثورة في الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1980.
- 21- فاتح عبد السلام ، تزييف السرد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 22- فاروق سعد، بخلاء الجاحظ، منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت،لبنان،ط1980،3.

- 23- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 24- لينا عوض، تجربة طاهر وطار الروائية بين الإيديولوجية وجماليات الرواية، عمان، دط، 2000.
- 25- محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1989.
- 26- محمد سيد أحمد غريب، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 1984.
- 27- محمد عبد القادر الفقي، البيئة ومشاكلها وحمايتها من التلوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 1998.
- 28- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983.
- 29- محمد نبيل جامع، علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية، جامعة الإسكندرية، مصر، دط، 2019.
- 30- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، وزارة الثقافة المصرية دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1967.
- 31- نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دار الشروق، جدة، السعودية، ط2، 1985.
- 32- نخبة من الأساتذة، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1975.
- 33- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.

34- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1900-1930)، دار الآداب، بيروت، لبنان، دط، 1969.

35- يحي بوعزيز، الجزائر في القرن التاسع عشر، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، دط، 1980.

36- يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

ثالثا: الكتب المترجمة

1- جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر، غالب خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، مصر، ط1، 2003.

2- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

رابعا: المعاجم

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 13، بيروت، لبنان، 1990، مادة(كون).

2- ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، مادة (بوا).

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط2، 1972.

4- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، دت.

خامسا: الدواوين

1- أبو نواس، الديوان، تح، عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.

2- الأمير عبد القادر، الديوان، شرح وتح، ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، دط، دت.

3- إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1967.

4- محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1979.

سادسا: الرسائل الجامعية

- 1- "الخدمات الاجتماعية في الريف الجزائري"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد هجيرة عمرون، إشراف بلقاسم بوقرة، قسم علم الاجتماع، جامعة باتنة، 2009-2010.
- 2- "الريف في الرواية الجزائرية فترة ما قبل الاستقلال أنموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس أدب عربي، إعداد بن حراث لويضة، العشاشي فوزية، إشراف جبارة اسماعيل، جامعة البويرة، 2011-2012.
- 3- "تجليات المكان في رواية أشباح المدينة المقتولة"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إعداد كريمة سمار، إشراف شاكر لقمان، جامعة ام البواقي، 2013-2014.
- 4- "تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد الحاج بن علي، جامعة وهران، 2009.

سادسا: المجلات

- 1- طلائع القصة والرواية، مجلة الثقافة، ع18، إعداد محمد صالح الجابري، 2008.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعران

أ

مقدمة

مدخل: الرواية والأدب.

- | | |
|----|----------------------------------|
| 5 | 1- نشأة الرواية في الأدب الغربي. |
| 7 | 2- نشأة الرواية في الأدب العربي. |
| 8 | 2-1- الرواية في المشرق |
| 9 | 2-2- الرواية في المغرب العربي |
| 13 | 3- مفهوم البيئة، مفهوم الريف. |
| 13 | أولاً: مفهوم البيئة |
| 14 | ثانياً: مفهوم الريف |

الفصل الأول: تمظهرات الريف للأدب العربي:

- | | |
|----|----------------------------------|
| 18 | 1- الريف في ضوء علم الاجتماع |
| 21 | 1-1- ثنائية دور كايم |
| 21 | 1-2- ثنائية فرديناند تونيز |
| 22 | 1-3- ثنائية تشارلز كولي |
| 22 | 2- الريف في الشعر العربي القديم. |
| 26 | 3- الريف في السرد العربي القديم. |
| 28 | 3-1- البعد المكاني العام |
| 28 | 3-2- البعد المكاني الخاص |
| 30 | 4- الريف في الرواية الجزائرية |
| 30 | 4-1- التيار الأول |
| 30 | 4-2- التيار الثاني |

31

2-4- التيار الثالث

الفصل الثاني: تجليات البيئة الريفية في رواية (لحن الموت):

37

1- تجليات الإبعاد الدلالية للريف.

37

1-1- البعد الرومنسي.

40

1-2- البعد الاجتماعي.

42

2- التشكيل الفني.

42

1-2- اللغة.

43

2-2- الزمن.

47

2-3- المكان.

51

2-4- الشخصيات.

52

3 ملامح الشخصية الريفية

52

3-1- الرجل الريفي

55

3-2- المرأة الريفية

58

3-3- الجماعة الريفية.

60

خاتمة

62

ملحق الرواية

62

-ملخص الروية

63

- التعريف بالروائية عبلة قدوار.

65

قائمة المصادر والمراجع

71

فهرس الموضوعات

ملخص

جَلَد

ملخص:

ومن الذين اتخذوا من الواقع المعيش حقلا واسعا يستمدون منه آراءه وانتقاداته... عبله قدوار وذلك أنها عنيت بقضايا الشعب الذي هي صوت من أصواتهم، ومن هنا رحنا نبحت عن كيفية رسم البيئة الريفية في روايتها، فكان موضوع الدراسة "البيئة الريفية في رواية لحن الموت" فقد احتوت الدراسة على مقدمة ومدخل وفصلين، الفصل الأول (النظري) تتبع ما كتب عن الريف في الأدب العربي وفي الفصل الثاني درسنا تجليات الأبعاد الدلالية للريف: الريف الرومانسي والاجتماعي إضافة إلى التشكيل الفني معرضين للخصائص الفنية لهذه الرواية مثل: اللغة، الشخصيات، المكان وباعتبار أن البيئة التي تجري فيها أحداث الرواية ريفية فقيرة لا نعثر فيها على وصف لعديد الأمكنة أو مختلف النشاطات وختاما حاولنا من خلال الرواية أن نعرض صورة البيئة الريفية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: (البيئة الريفية - الرواية الجزائرية)

Abstract :

The people who took the living reality as a broad field draw their opinions and their criticized... The study was entitled "Rural environment in the novel of the death Tone", which included a front, a entrance and two classrooms. In the second chapter we studied the faculties of the country's Dalal dimensions: The Romantic and Social countryside, as well as the artistic formation, are exposed to the artistic characteristics of this novel, such as: The language, personalities, the place and considering that the environment in which the story is taking place is rural, poor, and not a description of many places or different activities. Finally, we have tried through the novel to present the image of the rural environment in all its political, social and cultural dimensions.

Key words: (Rural environment - Algerian narrative)